الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بـ:

تيارات شعر الغزل والسلطة في العصر الأموي

إعداد الطالبان:

- اسماعيل بن ضحوى
- فوضيل حامد

بإشراف الأستاذ:

د محمد ذبيـــح

أعضاء لجنة المناقشة:

- د. رشيد بن يمينة رئيـــــــسا
- د. محمد ذبيح مشرفا ومقررا
- د. ابراهيم بوشريحة مناقـــــــشا

السنة الجامعية:

1442- 1441هـ/2021- 2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلهي لا يطيب العمر إلا بشكرك .....ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .....

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ..... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .....

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ..... ونصح الأمة ..... إلى نبي الرحمة والنور سيدنا محمد صلّ الله عليه وسلم.

إلى والديّا اللذان لطالما تعبا من أجلي حفظهما الله ورعاهما وجعلهما مصباحا ينير دربي

إلى اخوتي لطالما ساندوني في دراستي

إلى جميع من ساندنا في إنجاز هذا العمل

اسماعيل

إهداء

لمن أفضلها على نفسي ولما لا، فلقد صدقت من أجلي

ولم تدخر جهدا في إسعادي على الدوام.

أمي حبيبتي

نسير في دروب الحياة ويبقى من يسيطر على أذهاننا

في كل مسلك نسلكه،

صاحب الوجه الطيب، والأفعال الحسنة والذي لم يبخل عليّ طيلة حياته

والدي العزيز

إلى أصدقائي وجميع من وقف بجواري وساعدني وساندني بكل ما يملك وفي

أصعدة كثيرة

جميعا أقدم لكم هذا البحث

وأتمنى أن ينال رضاكم

فوضيل.

شكر وعرفان

ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ وأن اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

النمل -19-

نشكر الله عز وجل أن وفقنا لإتمام هذا العمل ...

كما أوجه شكري للأستاذ الفاضل الدكتور ذبيح محمد لما منحنا من جهد ووقت وتوجيهات وارشادات ودعم لإنجاز هذا العمل ، كما لا يفوتنا ان نشكر جميع أساتذتنا في كل مراحل الدراسة ونشكر جميع الاساتذة الذين ساهموا ولو بإرشاداتهم في انجاز هذا العمل .

وأخيرا نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل ...

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
المقدمة	أ ب ج
الفصل الأول: الدلالة المعجمية والاصطلاحية للغزل	10
تعريف الغزل لغة واصطلاحا	11
الغزل بوصفه فنا شعريا	15
أنواع الغزل	18
– الغزل العذري	18
– الغزل الحسي	22
خصائص الغزل الحضري والحسي	24
– وصف مواطن المرأة	24
– سهولة اللغة	25
– القصص والحوار	25
– سهولة الموسيقى الشعرية	25
الفصل الثاني: تطور شعر الغزل في الأدب العربي القديم	27
الغزل في العصر الجاهلي	28
أنماط الغزل في الشعر الجاهلي	29
– غزل المطالع	29
– غزل المحاسن والمفاتن	30
– الغزل الصريح الماجن	31
– غزل الكهول	32
مكانة المرأة في العصر الجاهلي	33
الخصائص العامة للغزل الجاهلي	35
الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي	36
نموذج من غزل جميل بن معمر	39
الغزل في شعر عمر بن أبي ربيعة	42

المحتويات	الصفحة
الفصل الثالث: الغزل والسلطة في العصر الأموي	49
تيارات ومدارس شعر الغزل في العصر الأموي	49
– الغزل البدوي العفيف	50
– خصائصه	50
– الغزل الحضري الإباحي	52
– خصائصه	53
شعر السلطة في العصر الأموي	56
الأحزاب السياسية	56
– الأمويون	56
– الشيعة	56
– الخوارج	57
– الزبيريون	59
علاقة الشاعر بالخليفة في العصر الأموي	60
تقدير الحكام للشعراء	60
أغراض الشعر	61
الخاتمة	67
المصادر والمراجع	69
ملخص الدراسة	73

المقدمة

شهد العصر الأموي تحولا كبيرا في تاريخ المجتمع العربي، حيث اهتم الخلفاء الأمويون بالأدب العربي كاهتمامهم بأمور الدولة، فتنوعت الموضوعات وتعددت مجالس الأدب والشعر في هذا العصر وكثرت حلقاتها إذ عادت الحركة الشعرية إلى التوهج والتألق بعد الركود والضعف الذي أصابها في نهاية العصر الجاهلي وفي عصر صدر الإسلام.

وقد أولى الأمراء الأمويون عناية كبيرة بالأدب واللغة، وحرصوا على إعلاء مكانة الشعر والشعراء، فاتسعت مواضعه وتطورت أساليبه تبعا للمظاهر السياسية والاجتماعية والتطورات الثقافية والفكرية.

وقد احتل الشعر السياسي والغزلي مساحة كبيرة في قصائد الشعراء فتسابقوا إلى مدح الخلفاء والتغزل بالمرأة.

فكان من الدواعي التفكير في انجاز هذا البحث المعنون بتيارات شعر الغزل والسلطة في العصر الأموي.

ومن أسباب اختيارنا لهذا البحث ما يلي:

- هذا الموضوع من أهم القضايا التي شغلت الأدب العربي قديما وحديثا.
- الشعر في العصر الأموي كان محل اهتمام الدارسين وشكل مجالا خصبا للكثير من الدراسات الأدبية والنقدية.
- الاطلاع على شعر الغزل الذي يعبر عن عاطفة إنسانية نبيلة.

ومن أهم الدراسات التي تناولت شعر الغزل والسلطة في العصر الأموي نذكر منها:

- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام.
- أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي.

بناء على ذلك فالغاية من بحثنا هي الإجابة عن إشكالية كبرى تتمثل في السؤال الآتي:

- ماهي تيارات ومدارس شعر الغزل في العصر الأموي؟
- كيف تجلى شعر الغزل والسلطة في عهد بني أمية، وما علاقة الشاعر بالخليفة ؟

وللإجابة عن هذه الاسئلة اتبعنا المنهج التاريخي الذي رأيناه مناسبا للموضوع.

وقد اقتضى الأمر إلى أن نقسم البحث إلى ثلاثة فصول، تستهل هذه الفصول بمقدمة وتنتهي بخاتمة تلخص أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

يحمل الفصل الأول عنوان الدلالة المعجمية والاصطلاحية للغزل وفيه سيتم التعرض للمصطلحات التالية:

- تعريف الغزل لغة واصطلاحا.
- الغزل بوصفه فنا شعريا.
- أنواع الغزل.

أما الفصل الثاني، يحمل عنوان تطور شعر الغزل في الأدب العربي القديم، وفيه سيكون التطرق إلى العناصر التالية:

- شعر الغزل في العصر الجاهلي.
- شعر الغزل في صدر الاسلامي.

ويتخذ الفصل الثالث عنوان الغزل والسلطة في العصر الأموي وفيه سيكون الكشف عن العناصر التالية:

- تيارات ومدارس شعر الغزل في العصر الاموي.
- علاقة الشاعر بالخليفة.

وينتهي البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج المتوصّل إليها من خلال هذه الدراسة.

أما بالنسبة للمصادر والمراجع التي كانت زادا في عملنا فقد اعتمدنا على:

- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي.
- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم.
- الغزل عند العرب، حسان أبو رحاب.
- غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه.

ونحسب أن الصعوبة الأهم التي اعترضت سبيلنا في انجاز هذا البحث هي كثرة المصادر والمراجع وهي بقدر ما مثلت صعوبة فقد أغنت البحث و زادت من مادته المعرفية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الدكتور ذبيح محمد على جهده الصادق معنا وصبره علينا فجزاه الله عنا خير الجزاء.

"والحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات"

الطالبان: بن ضحوى اسمـــاعيل

حـامـد فـوضـــيل

تيارت في:

الفصل الأول

تعريف الغزل لغة واصطلاحا

أ– لغة: ذكر اللغويون الغزل في مصادرهم بمسميات ثلاث وهي: التغزل والنسيب والتشبيب، وكلها تدور حول معنى واحد وهو التغني بجمال النساء وخصالهن ووصالهن وأنوثتهن، يعرفه ابن منظور في معجمه (لسان العرب) بقوله: «الغزل حديث الفتيان والفتيات، والغزل اللهو مع النساء... ومغازلتهن، محادثتهن ومراودتهن »[1].

ويقول في موضع آخر: «شبَّب بالمرأة، قال فيها الغزل، والنَّسِيب وهو يشبِّبُ بها أي يَنسِب بها، والتَّشبِيبُ: النَّسَيبُ بالنساء »[2]

ويعرفه ابن سيده بقوله: « الغزل تحديث الفتيان الجواري، و قد غازلها مغازلة، و التغزل: التكلف بذلك، و قد تغزل بها، ... و نسب بالنساء ينسب نسبا ونسيبا: تغزل بهن في الشعر، ... و شبب بها كله سواء» [3] .

والملاحظ من قول ابن منظور وابن سيده أنهما تعاملا مع هذه الأسماء الثلاث (الغزل والتشبيب والنسيب) دون التفريق بينهما أو التلميح إلى أنها تختلف من حيث المعنى، و اللفظ الذي اشتهر من بينها، و تداوله رواد اللغة ونقاد الأدب في مؤلفاتهم هو: الغزل و يقال غازل فلان زوجته أي اهتم بها في كلامه، و يقال عن الرجل الذي يكثر التغزل بالحسنوات أنه زير النساء، كما نجد للغزل تعريفا لا يتعدى معناه عن المعاني السابقة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في مؤلفه (كتاب العين) قوله:« غزلت المرأة، تغزل غزلا بالمغزل، و الغزل الشادن حين يتحرك و يمشي قبل الاثناء، الغزل حديث الفتيان مع الجواري، يقال غازلها مغازلة » [4]

إذن فمادة (غزل) تشتمل على معان ثلاث في اللغة و هي كالآتي:

«الأول: من الغزل الصوف، أي مده وفتله خيطاناً.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، مج 2.

[2] – المصدر نفسه، ص: 260.

[3] – ابن سيده: المخصص، المطبعة الكبرى الأموية، يولاق، مصر، ج4، 1317 هـ، :ص 45.

[4] – الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين: تح: محمد المخزومي، إبراهيم المرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003،ص104.

الثاني: من أغزلت الضبية: أي صار لها مولودا جديدا.

الثالث: من غَزِلَ (بفتح العين و كسر الزاي) بالمرأة، أي حدثها و أفاض بذكرها و تغني بمحاسنها و جمالها وخصالها» [1] .

ب- اصطلاحا:

هو التحدث إلى النساء و التودد إليهن، بمعنى أن يتطلب إلى الرجل التحدث إلى المرأة حديثا يؤثر في نفسها و يجذبها إليه، حتى يستميلها إلى جانبه، و يكسب ودها، مما يقودها إلى حبه.

إذا فهو «شكل من أشكال التعبير عن خلجات النفس الإنسانية عن المشاعر التي تنبعث منها، حين يمتلكها سلطان المحبة و تتأجج فيها العواطف، فهو يصور أحوال النفوس، بما لا يصورها غيره من الموضوعات، فهو يكشف عن دواخل المحبوب و سرائره و ينبع من عاطفة صادقة»[2].

ويعرّف أحمد الحوفي الغزل في مؤلفه الغزل في العصر الجاهلي بأنه: « فن من فنون التعبير القديمة قدم العلاقة الحميمية بين الرجل و المرأة، عن خلجات النقش الإنسانية وعن المشاعر الجياشة التي تبعث منها «حين يمتلكها سلطان المحبة و تتأجج فيها العواطف، فالغزل يصور أحوال النفس بما لا يستطيع أن يصورها غيره من الموضوعات، لأنه يكشف دواخل الحب، و سرائر المحبوب، و ينبع من عاطفة صادقة»[3].

والغزل فن من الفنون الشعرية التي تدخل النفس البشرية فتثير فيها الحس الذوقي وتهتز لها القلوب وتطرب بها النفوس إذ « ليس من شك في أن الغزل فن من الفنون الرفيعة، وأنه لون من ألوان الحياة الباسمة الصافية، لا تهفو إليه الأفئدة، إلا إذا كانت خالية من شوائب الحياة، وآلام الزمن ولا تهتز به القلوب إلا إذا غردة طروبه تجد لها من شعر الغزل ما يغذي هذا الطرب ويقويه وينميه» [4]

[1] – حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب، المطبعة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1947، ص: 7.

[2] – الخليل بن أحد الفراهيدي، المصدر السابق، ص: 107.

[3] – أحمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار النهضة، القاهرة، مصر، ط1، 1972، ص: 5.

[4] – حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب، المطبعة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1947، ص: 37.

وينقسم الغزل إلى قسمين أساسيين، إما ، يكون تعبيرا عن مشاعر وعواطف صادقة صافية، نبيلة وهو ما يعرف بالغزل العفيف، وإما أن تكون هذه المشاعر عكس الأولى أي لإشباع رغبات حسية ويسمى هذا الضرب الثاني من الغزل، الغزل الحسي.

ويستفيض الدكتور "شوقي صيف" في كتابه "تاريخ الأدب العربي": مميزا وموضحا لهذين الصنفين الغزل قائلا: «والغزل من قديم يتفرع عند العرب فرعين كبيرين، فرعا ماديا، يصدر في الشاعر عن الغريزة النوعية أحيانا، إذ مأربه منه اللذة الحسية وهو لذلك قد يبين بتصوير متعة المادي فيه تصويرا مزريا وفرعا ثانيا عذريا عفيفا ساميا في الشاعر عن الحس والمادة إلى النقاء والصفاء والطهر وبأنه يحب صاحبته لمعاني الحب والوجد في ذاتها ولا لشيء حسي وراءها وهذا الفرع الذي يمتلئ به إعجابا عند الشعراء العرب ممن أحبوا واستأثر الحب بقلوبهم وأفئدتهم حتى كأنما صار نارا في صدورهم لا يمكن إطفاؤها وهم يتعذبون، تلك النار ما تذيقهم من العذاب واجدين فيها متاعا لا يفوقه متاع، متاع يرافقه دائما الحرمان والدموع والألم »[1].

والغزل اتصال وثيق بالطبيعة الإنسانية و بذلك يعتبر من أقدم الفنون الشعرية العربية فهو «يصور أشواق المحبين و لوعتهم، ولم يحفل العرب بشيء من احتفالهم بالغزل، وهو من أصدق أنواع الشعر عاطفة، صور فيه الشعراء أشواقهم و إحساساتهم نحو المرأة تصويرا للنفوس و كشف لدواخلها» [2]. إذن فهو مشاعر جياشة ممزوجة بالحب و عاطفة الود والإعجاب، تحرك ذات الشاعر و أحاسيسه حسب المحبوبة المتغزل بها.

ولم يبتعد الشاعر القديم عما احتضنته بيئته من جمال حين تغزل بالمرأة، فشبهها بالروضة الفيحاء، التي يكثر عشبها بعد تساقط الأمطار، فتتفتح أزهارها ويقوم عَبيرها، أو الضبية حوراء العينين، يقول الدكتور "سراج الدين محمد" في هذا الصدد: «أكثر شعراء الغزل الجاهليون من الوقوف على الأطلال ووصف ارتحال الأحبة كما توقفوا عن محاسن الحسد ولقاء الشاعر بصاحبته وتحدثوا أيضا عن أرائهم في الحب وكان بعضهم يتغزل بالفتاة العربية النسب والبعض تغزل بالفتيان كما فعل طرفة في معلقته، جاء بعض الغزل الجاهلي عفيفا وجاء بعضه ماجنا كما أن الغزل الجاهلي جاء في أسلوبه بعيدا عن

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص: 312

[2] – أحمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، ص: 6.

الزخرفة والتخلق، لأن الشاعر كان ينساق في عاطفته ويسترسل معبرا عنها بعفوية إلا أن معظم الشعراء اشتركوا في المعاني نفسها واستمدوا من البيئة تشبيهاتهم كما اشتركوا في تركيب القصيدة وتركيب مواضيعها» [1]، وبذلك انحصر غزلهم حول الجمال الموجود في بيئتهم وتشبيههم للمتغزل بها له، كما تبوأ الغزل مكانا مرموقا في شعر المبدعين القدامى، منذ أن عرفوا أسلوب التعبير الشعري، فكان الشاعر في العصر الجاهلي يقول الأبيات تغزلا بحبيبته معبرا عن حبه لها، و ما تكنه جوارحه من الشوق و العشق و الغرام اتجاهها.

1 – سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص: 8.

الغزل بوصفه فنّا شعريا

استطاع عمالقة الشعر العربي قديما أن يرضوا نزعاتهم الفنية بتحبير القصائد الرائعة التي تصور حبهم وتسجل وقائع هواهم، ولذلك كان الغزل الفن الكبير الذي اعتنوا فيه وخصصوا له القصائد الطوال، ومن شغفهم به (الغزل) أن جعلوه أول موضوع يبتدئون به قصائدهم، سواء كانوا يذكرونه مباشرة أم يذكرون الديار، ديار الحبيبة لينقلهم ذلك إلى ذكرها والتغزل بها، وفي ذلك يقول "ابن قتيبة": «وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين فيها»[1].

ثم يذكر "ابن قتيبة" أن غرض الشاعر من ذلك أن تميل إليه القلوب والاسماع لأن الغزل أقرب الفنون إلى النفوس والافئدة، « التشبيب قريب من النفوس لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وألف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام»[2]. وبذلك يجعل "ابن قتيبة" الغزل سببا في استمالة النفوس وهذا جانب منه بالإضافة إلى جوانب أخرى تتعلق بعاطفه الحب والصنعة اللفظية، فالشعر يشحذ قريحته بذكر الغزل ويستنزل معانيه بأن يعيش في جو عاطفي يهيئ نفسه ويستثير مشاعره وانفعالاته، وروى "ابن رشيق" «أن ذا الرمة سئل كيف تعمل إذا انقفل دونك الشعر؟ فقال: كيف ينقفل دوني وعندي مفاتيحه؟ قيل له: وعنه سألناك ما هو، قال: الخلوة بذكر الأحباب، فهذا لأنه عاشق، ولعمري أنه إذا انفتح للشعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب، ووضع رجله في الركاب »[3].

ويتبين لنا أن موضوع الغزل هو المرأة، فتناول الشاعر جمال وجهها ومحاسنها ووصف الجمال الجسدي هو الأمر العام والطاغي على الغزل، أما وصف المحاسن الخلقية والنفسية وتصوير عواطف المرأة وحكاية الحب بين العاشق والمعشوقة فيأتي كل ذلك بالمرتبة المتأخرة من وصف الأعضاء فالشاعر يقف أولا عند الصورة الخارجية للمرأة وهي الصورة التي تحرك فيه عواطف الجنس والحب والجمال.

---

[1] – بن قتيبة، الشعر والشعراء، تح، أحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، 1997، ص: 74.

[2] – المصدر نفسه، ص: 75.

[3] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تح، محي الدين عبدالحميد، دار الجبل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1985، ص: 206.

لقد تعارف الشعراء القدامى على مقاييس في الجمال أحبوها في المرأة وصورها أكثر من شاعر، فتغزل امرؤ القيس في معلقته بالمرأة نجده يقص حكايته معها وهي بثيابها للنوم وصار يصف مفاتنها بقوله:

«إذا التفتت نحوي تضوّع ريحُها نسيمَ الصَّبا جاءت بريا القرنفُلِ

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلِ

تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أَسِيْلٍ وَتَتَّقي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ

وفَرْعٍ يَزِيْنُ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُلا تَضِلُّ العِقَاصُ فِي مُثَنَّى وَمُرْسَلِ

وكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيْلِ مُخَصَّرٍ وسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرَ شَثْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحِلِ

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

وَتُضْحِي فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَؤُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الحَلِيْمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ » [1]

لقد وصف امرؤ القيس كل ما شاهده من حبيبته أو لمس، فهي لطيفة الكشح مملوءة الساقين بيضاء صافية اللون أسيلة الخدين واسعة العينين، خصرها لطيف وساقها رائق كأنبوب البردي، وهي مترفة طيبة الرائحة، ناعمة الأصابع رقيقة البنان، أما وجهها فصبح وضّاء يغلب نوره ظلام الليل، طويلة القد مديدة القامة لم تدر الحلم وإن تجاوزت سن الجواري الصغار.

[1] – امرؤ القيس، الديوان، تح، أنور أبو سويلم ومحمد الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية، ط1، 2000، ص: 15.

وقد عرف امرؤ القيس بجرأته في تصوير مفاتن ومحاسن المرأة، والمجاهرة بخلواته بها، وصاحبه في هذه الجرأة عمرو ابن كلثوم إلا أن هناك طائفة أخرى من الشعراء لم تصرف همها إلى وصف محاسن المرأة وأعضائها، ولم تتغنى بفضائلها واخلاقها، ولكن راحت تصور ما يلقاه الشاعر من حب وشوق ووجد وهيام وما يعانيه من ألم الفراق ولوعة البعاد وكيف يسهر الليل ويرقب النجوم، يتغنى بخيالها ويمني النفس بروعة منظرها، « وراح فريق آخر من الشعراء يصورون قصص الحب وما يتساقان الأحبة من كؤوس الحب والوصال، وما يسقاه الحب من كؤوس الصدّ والهجر كل ذلك في شعر صادق أصيل فيه عفة ونبل، تصونه المثل العليا وتحوطه القيم الجاهلية في المروءة والشرف، ولدينا من قصص الحب الكثير وأبرزها: قصة المرقش الأكبر مع بنت عمه اسماء بنت عوف، والمرقش الاصغر مع معشوقته فاطمة بنت المنذر »[1].

ونجد الأعشى ميمون، الشاعر الجاهلي يتغنى بالمرأة وتغزله بها سكرا يقول:

«إذا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أصْوِرَة والزنبقُ الوردُ من أردانها شمل

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعشبةٌ خَضرَاءُ جادَ عَلَيها مُسْبِلٌ هَطِلُ

يضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ مُؤزَّرٌ بِعَمِيمِ النّبْتِ مُكْتَهِلُ

يَوْماً بِأطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَة ولا بأحسنَ منها إذْ دنا الأصلُ» [2]

شبه الشاعر المرأة بالروضة الفيحاء التي كثر عشبها بعد هطول المطر، ويطول نباتها وتتفتح أزهارها، ويفوح عبيرها، أو بظبية حواء العينين، وبذلك كان غزلهم مستمد من جمال البيئة التي يعيشونها.

إذن فالغزل ظاهرة فنية شعرية فرضتها البيئة منذ العصر الجاهلي، فكان « العامل الجغرافي كممثل للقوة الثابتة الموجهة لكل نشاط إنساني وفرض حتميتها على اتجاهاته ومجالاته »[3].

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح، أحمد محمود شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1423هـ، 2002م، ص: 200.

[2] – الأعشى ميمون، الديوان، تح، محمد حسين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1974، ص: 145.

[3] – يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، د ت، ص: 105.

أنواع الغزل.

ينقسم الغزل بوصفه فنا أدبيا في شعرنا العربي منذ القدم إلى قسمين هما:

أ- الغزل العذري:

يعد الغزل العذري أحد أنواع الغزل الذي ظهر «نتيجة للقيم الاخلاقية والروحية التي بثها الاسلام في البادية العربية والتي صفّت نفوس الشعراء العذريين، وأحالت العشق فيها إلى البراءة والطهر والعفة» [1] .

وممن رأوا بأن هذا الضرب من الغزل (العفيف) لا ينبعث عن مجرد الشعور بالتعاطف والحب بين الرجل والمرأة فحسب، وإنما يقوم على العفة التي يواكبها الدين، نجد الدكتور "فيصل شكري" قائلا:« فالغزل العذري تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تتحرج، وتذهب مذهب التُّقى، وتؤثر السلامة والعافية على المجاهرة والمخاطرة ، وترى أن النفس أمارة بالسوء ... ولذلك آثرت هذه الطائفة أن تعدل عن شهواتها، فكانت مثلا واضحا للتربية الاسلامية في سموها وتعاليمها ... ومن العفة التي كان يواكبها الدين ومن الحب الذي كانت تواكبه الغريزة، من هذا كله كان الحب العذري...» [2].

ومن نماذج الشعراء الأمويين الذين ميزت ابداعاتهم طابع الغزل العفيف وفاضت بالوجد والأحاسيس وأفصحت عن الآلام وأعربت عن الوفاء والعفة نجد عبدالله بن العجلان قائلا:

«فَارَقَت هِندًا طَائعًا فَندِمتُ عِندَ فُراقَها
فالعَينُ تَذرِفُ دَمعَةً كالُّدرِّ من أعماقِهَا
فتخلّبا فَوقَ الرِّدَاءِ تَجُولُ مِن رَقرَاقِهَا
خود رداحُ طِفلَة ما الفُحشُ من أَخلَاقِهَا... » [3]

[1] – صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة لسان العرب، القاهرة، مصر، ط1، 1986، ص 430.

[2] – ينظر، شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام

[3] – صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص: 433.

ثم نجد الشاعر عروة بن حزام الذي يحكي قصة حبه مع ابنة عمه عفراء بملامح شعرية عذرية أموية بارزة، ممتزجة برعشة نصيب العاشقين، وحبسه اللسان عند لقاء الصاحبة وثمر القلب على السلوى...

ومن ذلك قوله المشهور

«وَإِنِّي لَتَـــعرُوِنِي لِذِكـــرَاكِ هـــزَّة لَهَ بَينَ جِلدِي وَالعِظَامِ دَبِيبُ
وَمَـــا هُـــوَ إِلَّا أَن أَرَاهـــا فَـــجأَة فَأَبهَتُ حَتَّى مَا أَكَد أُجِيبُ
وأَصدَفُ عَن الرَّأي الَّذِي كنت أرتئي وأنسى الذي أزمعت حين تغيب
ويطهر قلبي عذرها ويعينها عليّ فمالي في الفؤاد نصيب »[1]

ويعرفه الدكتور "شوقي ضيف" بأنه: «غزل نقي طاهر ممعن في النقاء والطهارة، و قد نبسط إلى بني عذرة، إحدى قبائل قضاعة التي كانت تنزل في وادي القرى شمالي الحجاز؛ الأن شعراءها أكثروا التغني به ونظمه، ويروي أن سائلا سأل رجلا من هذه القبيلة: ممن أنت؟ قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا »[2] ومن ثمة فقد كسب كل حب عفيف قبيلة بني عذرة ، و يتسم الغزل العذري بالحرارة العفة و الديمومة، فتتجمع هذه السمات الثلاث في نفس واحدة، وفي ذلك يرى الدكتور صلاح الدين الهاوي أن« الغزل العذري كان ثمرة للقيم الأخلاقية و الروحية التي بثها الإسلام في البادية العربية والتي صنعت نفوس الشعراء العذريين، و أحالت العشق فيها إلى البراءة و الطهر و العفة » [3] .

كما عرف الغزل العفة في العصر الجاهلي إذ أن أغلب نماذجه كانت تمثل مقدمات للقصائد عبروا فيها عن أشواق الروح، والاشتياق للمحبوبة.

- ويقول عبد الله بن العجلان متغزلا و معبرا عن لوعته و اشتياقه لمحبوبته قائلا:

«أَلاَ أَبلِغَا هِنداً سَلامِي وَإِن نَأَت فَقَلبِي مُذ شَطَّتِ بِها الدَّارُ مُدنَفُ
وَلَم أَرَ هِـنداً بَـعدَ مَوقِفِ سَاعَةٍ بِأَنعَمَ في أهلِ الدِّيَارِ تُطَوِّفُ

[1]- صلاح الدين الهادي، الشعر في العصر الأموي.
[2]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي- العمر الإسلامي- دار المعارف، مصر، القاهرة، ص 16، 1996،ص309.
[3]- صلاح الدين الهاوي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة الخافجي، مصر، القاهرة، ط1، 1986،ص430.

أَتَتَ بَينَ أَترَابٍ تـمايَسُ إِذ مَشَت دَبِيبَ القَطَا أَوهُنَّ مِنهُنَّ أَقطَفُ»[1]

لقد حاول الشاعر العذري أن يرفع محبوبته إلى مكان يليق بالحب الذي أجهد نفسه من أجله، فنجد على سبيل المثال جميل بثينة لا يكتفي بتشبيه حبيبته بالبدر، بل يخبرنا أن الله فضلها، فاختصها بحسن تتفرد به بين الناس، مثلما خص ليلة القدر، بتفضيلها عن سائر الليالي ، و يتضح ذلك في قوله:

« هِيَ البَدرُ حُسناً وَالنِساءُ كَواكِبٌ فَشَتّانَ ما بَينَ الكَواكِبِ وَالبَدرِ

لقد فضّلتْ حسناً على الناس مثلما على ألفِ شهرٍ فضّلتْ ليلة القدرِ» [2]

تتبوأ المحبوبة التي وصفها هؤلاء الشعراء المكانة العليا في دنيا الحب لديهم، فوصفوها بأحسن الأوصاف و أجملها ورسموا لها خصائل و شمائل تنفرد بها عن بقية نساء مجتمعاتهم و كتبوا فيها القصائد الطوال، وكأن لا شيء في الحياة قادر على تعويضهم عن هذا الحب الذي وصل إلى درجة الهيام عند بعض الشعراء، كجميل بثينة وكثير عزة و غيرهم.

و يتسم الشاعر العذري بالوفاء لامرأة واحدة حتى النفس الأخير، وقصر الشعر عليها دون سواها، والعفة في الحب واللفظ، والقناعة والرضا بالنظرة العابرة والالتفاتة الخاطفة، والبوح بخلجات النفس، فيجد الشاعر العذري في الحرمان والشوق لذة، وفي العالم مصدر وحي لشعره، «ولذلك اقترنت أكثر أسماء شعراء الشعر العذري بأسمائهم وبحياتهم، فيقال مجنون ليلى وكثير عزة وقيس لبنى جميل بثينة» [3]

ويعبر مجنون ليلى عن هواه ولهفته وشوقه إليها، ويعبر أيضا عن اخلاصه لهذا الحب الذي وصل إلى درجة الهيام وفاق الجنون قائلا:

«تَدَاوَيتُ بِلَيلِي عَن لَيلَى بِالهَوَى كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الخَمرِ بالخَمرِ

[1] – أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، تح، سمير جابر، دار الكتاب العالمية، لبنان، بيروت، ط1، 1986، ص: 245.

[2] – جميل نثينة، الديوان، تح، محمد مهدي ناصر الدين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ص: 27.

[3] – ينظر صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، ص: 444.

أَلَا زَعَمَت بِأَن لَا أُحِبُّهَا بَلَى واللَّيَالِي العَشر والشَّفعِ وَالوَترِ
إِذَا ذُكِرَت لَيلَى أُسَرُّ بِذِكرِهَا كَمَا انتفَض العُصفُورُ بِبَلَلِ الَمَطر»[1]

خصائص الغزل العذري

تتحقق لدى الغزل العذري الوحدة الموضوعية في الكثير من القصائد ويشترك في هذه الخاصية مع الغزل الحسي بالخصوص في الشعر الجاهلي والإسلامي أما في العصر الأموي « تكسو القصيدة أو المقطوعة فيه ثوب الانسجام الشعور الذي تظهر فيه المشاعر مترابطة متعانقة لتحقق لها وحدة فنيه واضحه في جوها العام»[2] أي أن القصيدة تصور عواطف مجردة في العشق وتعبر عن حالات شعورية متجانسة وتصور الذكريات الحزينة وحالات الوجد واللوعة ومن خصائصه أيضا شيوع نماذج المقطوعات العذرية فهي تعالج في الغالب حالة نفسية أو خاطرة واحدة كما تتحقق فيها أيضا الوحدة الشعورية والفنية، وشاعت هذه المقطوعات في الفترة الأموية بكثرة.

والمتتبع للشعر الغزلي وخاصة العذري في العصر الأموي يجد أنه ساهم في تطور المعجم الشعري إذ كانت تجاربهم الشعرية العاطفية المباشرة تعتمد على الألفاظ ذات الدلالات الشعورية المتأججة والطاقة الانفعالية الواضحة كما نجد روادها قد نجحوا في بساطة العبارة التي تعكس بساطة تجاربهم ووضوحها معتمدين على الألفاظ العاطفية الموحية فما اعطي شعرهم قيمه فنية ولغوية.

ومن خصوصيات وسمات رواد هذا النوع من الغزل أنهم هجروا التعابير المكشوفة والألفاظ الفاضحة لذلك يمكن القول أنه «شجرة نبتت كثمرة بذرتها في الجاهلية ثم ترعرعت وازدهرت في العصر الأموي» [3] وهناك من يرى أنه جاء كثمرة للقيم الأخلاقية التي بثها الاسلام في نفوس الشعراء العرب في البادية.

[1] – جميل بثينة، الديوان، ص: 13.

[2] – ينظر صلاح الدين الهادي اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص: 489.

3 – حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب، مطبعة مصر، القاهرة، ط1، 1947، ص: 205.

ب- الغزل الحسي

ظهر هذا النوع من الغزل وتطور في حواضر الحجاز في عصر الدولة الأموية وتعددت التسميات التي اطلقت عليه من قبل الدارسين منهم من سماه بالغزل الحضري ومنهم من أطلق عليه اسم الغزل الإباحي وسماه شوقي ضيف في كتابه تاريخ الادب العربي في العصر الاسلامي بالغزل الصريح وذهب فريق آخر إلى تسميته بالغزل الحسي.

غزل مادي ودوافعه مادية يهدف إلى الاستمتاع بالمرأة، «فهو التعبير عن العاطفة التي تكالبت على اللذة في حرمان، فأصبح حكاية حال ووصف ألوان وأشكال وذكريات في غير حنين... ومن ثم فهو التجربة التي يلحقها الا لم ولا يحرق انفاسها الوجد والجوى، وهذا النوع من الشعر يحفل بمظاهر الحضارة والأناقة وأساليب الاغراق والتحايل، ولكنه بعيد من اغوار النفس، يمتد في العرض والطول ضاحكا في أماله وأعماله، حيا في حركاته وحواره، جذاب في لينه وغنائيته، الا أنه قلّما ينقل التجربة المؤثرة التي تهز الكيان وتبعث الأشجان»[1]، أطلق عليه الباحثون المذكورة سابقا من حسي ومريح وإباحي وغيرها للتفريق بينه وبين الغزل العذري الذي يمثل العفة و الطهر واستنتجوا هذه الصفات من خلال الاخبار والاشعار التي رويت مبينة سلوك شعراء الغزل الحسي في حياتهم العاطفية وتصرفهم مع النساء ويثبت "حنا الفاخوري" في كتابه تاريخ الأدب العربي هذه الصفات قائلا: «الغزل الحضري هو غزل إباحي يتغنى فيه الشاعر بالحب وملذاته الجسدية، متصرفا فيه إلى الوصف القصصي الواقعي من غير خجل ولا حياء وأشهر أصحابه عمر بن ابي ربيعة والأحوص وقد ألحقنا بهما الوليد بن يزيد» [2].

أما الأديب صلاح الدين الهادي يرى أن هذا النوع من الغزل لم يكن بكل تلك الأوصاف التي وصفه بها الدارسون «فلا أحد ينكر نصيب المادية من هذا الغزل ولكنها قليلة فيه ورغم قلتها فهي لا تصور النزاعات والملذات الشهوانية الحقيقية بل أنها تعبر عن اتجاه فني عام شاع في ذلك الوقت وأدى إلى تطور فن الغناء عند الحجازيين كما أن تجارب شعراء هذا النوع من الغزل أدت إلى إطلاق هذه الصفات عليه، لا تتجاوز التعبير عن استعمال الحواس ثم التعبير عما التقطته هذه الحواس المختلفة من

[1] -حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجبل، بيروت، لبنان، ص:444.

[2] - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية ، مصر، القاهرة، ط2، 1953، ص: 249.

صفات المرأة الجسدية »[1] .

ويصف عمر بن أبي ربيعه المرأة وصفا لا يتجاوز القيم الجمالية العامة الشائعة في عصره من «تشبيهات يسيرة مألوفة نحو الصبح، الشمس، والكثيب، والغض في الإخلاء والاستقامة والمرونة والأقحوان والخمر حيث يتحدث عن الثغر والشفاه وغير ذلك مما يبدو أنه متمم لبناء القصيدة الفني ولا أدل على ذلك من النساء في قصائده على نمط جمالي واحد لا يكاد يختلف فهنّ ممتلئات الارداف، نحيلات الخصور، مترفات الوجوه كعهدنا بهن حتى في الشعر الجاهلي»[2] . ويظهر في احدى ابداعاته الغزلية (عمر بن ابي ربيعه) أنه من كثره تغزله بالحسناوات من النساء اصبح ونفسه مدار حديثهن وتغزلهن به قائلا:

«بينما ينعتنني أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالت الكبرى: أتعرفن الفتى قالت الوسطى: نعم، هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها: قد عرفناه، وهل يخفى القمر!؟»[3]

غير أن نمطية صورة المرأة عند معظم الشعراء لا يراد منها وصف محاسن المرأة وإبراز جمالها فقط لذلك فالصورة الحسية للمرأة في الشعر القديم تمثل ضربا من البحث المعنوي غير المادي والبحث عن الروح عبر المحسوسات، وهذا ما تفطن إليه الباحثون لأنهم وقفوا على سطح الصورة الحسية ولم يحاولوا ان يخترقوا هذا السطح ليعلو الى الروح الكامنة وراء ستار الحس، فصورة المرأة في تراثنا القديم لم تكن مجرد صورة للذة والاستمتاع بقدر ما كانت رمزا للحياة والنماء.

والمعجم الذي استخدمه شعراء هذا النمط من الغزل متشابه يصور فيه الشاعر محبوبته وجمالها فتتساوى النساء حسنا في شعرهم، وذلك يدل على ان هذه الصفات التي شكلت هذا المعجم اصبح لها قوة الرمز والقدرة على التعبير من شاعر لآخر.

[1] – ينظر صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ط1، 1986، ص: 247.

[2] – ينظر عبدالقادر القط، في الشعر الاسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص: 187.

[3] – عمر بن أبي ربيعة، ديوان، تح، محمد محي الدين عبدالحميد، ، دار الأندلس بيروت، لبنان، ط 2 ،1982، ص:151

خصائص الغزل الحضري الحسي

تظهر على هذا النمط من الغزل خاصيتين بارزتين على غرار باقي الخصائص وهي:

وصف مواطن جمال المرأة.

يعمل الشاعر الحسي في العصر الاموي ذوقا جماليا يشبه إلى حد كبير ذوق الشاعر الجاهلي ونفس مواطن الجمال التي أثارها الاول تثير الثاني (الشاعر الجاهلي) وحتى القيم التي حملها المتأخر تبقى نفسها عن شعراء الغزل الحسي في العصر الجاهلي، كما تشارك نفس مواطن الإثارة لدى المحبوبة التي تغنوا بها في إبداعاتهم الشعرية.

يقول عمر بن ابي ربيعة:

«هَيفَاء مُقبلَة عَرجَاء مُدبرة تَخالها في ثِياب العصب دينارا»[1]

ويقول في موضع آخر أيضا:

«فود مهفهفة الأعلى إذا انصرفت تكاد من ثقل الأرداف تنبثر» [2]

صور الشاعر الحسي جسد المرأة ممتلئا ممشوقا طويلا ناعما، هيفاء في اقبالها، عرجاء عند ادبارها، تثقلها روادف جمعت فيها الحسن والجمال والبهاء.

كما نجد شعراء الغزل الحسي (الحضري) نصبوا جميع احاسيسهم على محبوباتهم ولم يتركوا من جسدهن شيء كالعينين والخصر والانف والارداف وحتى ريق المحبوبة كان له نصيب في اشعارهم اذ نجد الأحوص الانصاري يعدد مواطن جمال محبوبته بوصف جمال جسدها قائلا:

«قطوف المشي إذ تمشي ترى في مشيتها خرقا

وتثقلها عجيزتها إذا ولت لتنطلقا»[3]

لقد فتن شعراء الغزل الحسي أيضا بحركة المرأة ومشيتها البطيئة المتمايلة لأن تلك المشية من جمال المرأة وفتنتها إضافة إلى جمال العضو المتحرك من جسدها فتثير من الشجن والحب والإثارة والاعجاب في نفوس الشعراء.

---

[1] – عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص: 120.

[2] –المصدر نفسه ص: 123.

[3] – الأحوص الأنصاري، الديوان، تح، عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1990، ص: 205.

سهولة اللغة

لقد نحا شعراء الغزل منحى جديدا نحو تأسيس لغة شعرية جديده تقوم على هجر الالفاظ الغريبة وبنائها بناء سهلا يتلاءم مع حياة الناس التي انتقلت من طابع البدوي الى المدينة وذلك بغية ان يقترب الشاعر من لغة الناس اليومية، فجاء شعرهم قريبا من حياتهم ومجتمعهم في العواطف والأحاسيس التي يصورها، كما اقترب منها في اللغة التي يتحدث بها العامة.

القصص والحوار

وبقولنا الحوار والقصص هنا «لا نعني الرواية بكل ما فيها من فن قصصي وعقدة ومتعة فنية ولا تعني الحديث المنظوم الذي يجري على المسارح وانما نعني الحديث المنظوم الذي يتفرد به بن ربيعة، وهذا الحوار معروف في الادب الجاهلي فقد أتى امرؤ القيس بالقصص والحوار في شعره إلا أن ابن ابي ربيعة قصد إلى ذلك قصدا»[1].

كما يكثر الحلف والقسم في حوار شعراء الغزل الحسي وقد يكون من خصائص الحديث في ذلك العهد وفي ذلك يقول عمر بن ابي ربيعة في احدى قصائده:

«قُلتُ (مَن هَذا) فَقالَت بَعضُ مَن فَتَنَ اللَهُ بِكُم فيمَن فَتَن

قُلتُ حَقّاً ذا؟ فَقالَت قَولَةً أَورَثَت في القَلبِ هَمّاً وَشَجَن:

وَيَشهَدُ الله عَلَى حُبِّي لَكُم وَدُمُوعِي شَهِد لَكُم وَالحَزَن

قُلتُ يا سَيِّدَتي عَذَّبتِني قالَتِ: "اللَهُمَّ عَذِّبني إِذَن»[2]

سهولة الموسيقى الشعرية:

كانت الموسيقى عند شعراء الغزل الحسي (الحضري) تجمع بين العاطفة وما تقتضيه أحوالهم وتبعث على تكرار الالفاظ لترسيخ الفكرة وجعلها جلية ظاهرة بسيطة واضحة فيقول ابن أبي ربيعة:

«ألا حبذا حبذا حبذا حبيب تحملت منه الأذى»[3]

وفي الأخير نجد أن شاعر الغزل الحضري (الحسي) عبر من خلال شعره الغزلي الحسي عن

[1] – حنا الفاخوري، تاريخ الادب العربي، ص: 263.

[2] – عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص: 153.

[3] – المصدر نفسه، ص: 162.

إعجابه ولوعته بمواضيع معينة ومحسوسة في جسد المرأة وركز عليها في إبداعاته الغزلية وذهب كل من تتبع هذا الجانب من الشعر بالدراسة والتحليل إلى أن رواده تناولوا الملذات التي يبحث عنها الرجل في المرأة لإطفاء شهوة النفس البشرية وإخماد نارها وبذلك فهم بعيدين كل البعد عن شعراء الجانب الآخر من الغزل (الغزل العذري) الذين لا يسعون الى الهيام بالمحبوبة دون الوصول الى الجوانب المثيرة فيها والتي تنحى بالجانب الخلقي والروحي لديهم منحى سلبيا يتعارض مع مبادئهم، كما نجد أن بعض الباحثين في مجال الغزل يشير إلى وجود نوعين آخرين من الغزل وهما التقليدي والسياسي ولكنهما لم يشيعا في ساحة الغزل ولم يلقيا الرواج الكافي بقدر النوعين السابقين (العذري والحسي).

الفصل الثاني

الغزل في العصر الجاهلي

الشعر الجاهلي صورة صادقة عن حياة العرب بمختلف أحوالها، وفيه دوّن الشاعر ما رأى وما شعر وعبر عن ذلك بصدق ألفاظه، فكان ديوان فخر، ووصف، وغزل ورثاء، وهجاء « وأغراض الشعر الجاهلي كثيرة يوصف بعضها بالسبق والصدق كالأطلال والغزل، ويرمي بعضها بالتقرب والتكسب كالمدح والاعتذار... والغزل. فهو التعبير الراقي عن الغريزة والتصوير الفني لما بين الذكر والأنثى من تجاذب أزلي أبدي لا انفصام له »[1]. والشعر هو شكل من أشكال التعبير عن خلجات النفس الانسانية وعن المشاعر التي تنبعث منها.

عبّر الشعراء الجاهليون عن شعر الغزل فوصفوا المحبوبة بصفاته وأخلاقه زما فعله الهوى بهم، وقد صرّح الدكتور بدوي طبانة قائلا: «تتوارد علينا كلمات ثلاث تتقارب في مفهومها وتتشابك في دلالتها وهذه الكلمات الثلاث هي: النسيب والغزل والتشبيب» [2] . أي أن هذه الكلمات تدل على معنى واحد هو الغزل.

وأضاف بدوي طبانة يقول: الغزل عند بعض الباحثين هو الاستهتار بمودّات النساء وتتبعهن والحديث إليهن .

وأما "التشبيب" فهو ما يقصد إليه الشاعر من ذكر المرأة في مطالع الكلام، وما يضاف على ذلك من ذكر الرسوم ومساءلة الأطلال.

وأما "النسيب «فهو أثر الحب وتبريح الصبابة فيما يبثه الشاعر من الشكوى، وما يصفه من التجني، وما يعرض له من ذكر محاسن النساء، وهو بلا شك مظهر الرقة وينبوع السلاسة في الشعر العربي » [3] .

---

[1] – غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الارشاد، حمص، سورية، ط1، 1992، ص: 109.

[2] – بدوي طبانة، معلقات العرب، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 1، 1958، ص:322.

[3] – المرجع نفسه، ص: 323.

أنماط الغزل في الشعر الجاهلي:

الغزل في الشعر الجاهلي مختلف الأشكال ومتعدد الأنماط وأبرز أنماطه هي غزل المطالع المشوب بالوقوف على الأطلال والغزل العفيف المعني بصور الجمال وسمو الغريزة والغزل الصريح المغموس في الشهوة، وغزل الكهول» [1].

1- غزل المطالع:

لقد أدرك شعراء العصر الجاهلي فضل الغزل على الأغراض الأخرى، فجعلوه مفتاحا لقصائدهم ، حيث ذهب ابن قتيبة قائلا: « سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيه بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها... فشكى شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه» [2]، تعد الأطلال على ما فيها من وحشة وكآبة المدخل الذي يلج فيه الشاعر الجاهلي إلى الغزل وذلك لارتباطه بأحبته، وهذا ما يظهر في شعر امرئ القيس.

يقول امرؤ القيس

«قِفَا نَبكِي مِن ذِكرِ حَبِيبٍ وَ مَنزِلِ بِسَقطِ اللَّوَى بَينَ الدُّخُولَ فَحَومَلِ

وَإِن شِـــفَائِي عِـــــبرَةً مِــهرَاقَةً وَهَل عِندَ رَسمِ دَارِسٍ مِن مُعَوَّلِ» [3].

الشاعر يقول : قفا أي أعيناني، أو قف وساعدني على البكاء خاصة عندما يتذكر حبيبا فارقه، ومنزلا خرجت منه، وذلك المنزل أو ذلك الحبيب أو ذلك البكاء بمنقطع الرمل المعوج بين هذين الموضعين.

سقط اللوى، هوى منتهى الرمال وبداية الأرض الصلبة أي مكان جيد لدق أوتاد الخيام.

الشاعر وظف كلمة المهراق: أي المصبوب، وقد أرقت الماء وهرقته أي صببته.

المعول: المبكي وقد أعول الرجل وعول إذ بكى رافعا صوته.

[1] – غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص: 110.

[2] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، تح، أحمد محمد شاكر، دار المعارف، د ط، القاهرة، مصر، د ت، ص: 74-75.

[3] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 90.

يقول زهير بن أبي سلمى:

«أَمَن أَم أَوفَى دَمنَهُ لَم تكلم بِحِرمَانِهِ الِّدرَاجُ فَالمتَثَلِّم

قِف بِالدِّيَارِ الَّتِي لَم يَعفهَا القَدَم بَلَى وَغَيرَهَا الأَروَاحُ والدِّيمُ» [1]

الشاعر يستوقف الآثار التي لا تجيب السؤال عن منازل أم أوفى ويستدرك كلامه للدلالة على أن بعضها عفى وأن بعضها لم يعفو.

ويظهر البكاء على الأطلال من خلال شعر عنترة بن شدّاد حينما يصف منزل عبلة قائلا:

«يَا دَارَ عَبلَة بِالجوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبلَة بَعدَ تَوَهُم » [2].

الشاعر يتحدث عن ذكر الديار والأحبة ووصف عبلة وتشبيهها.

وكذلك نجد البكاء على الأطلال في شعر الأعشى الأكبر إذ يقول:

«ودِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الَّركبَ مُرتَحِلُ وَهل تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الَّرجُلُ» [3]

الشاعر يصف حاله وما يعانيه من ألم الفراق والابتعاد عن محبوبته هريرة.

ويقول أيضا:

«ماَ بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالأَطلَالِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِ» [4]

يتضمن هذا البيت بكاء الشاعر على الأطلال وترك الديار وفراق الأحبة وسؤاله عن حاله وأحوالهم.

2- غزل المحاسن والمفاتن:

يعتبر هذا النمط من أجود أنماط الغزل وأقربها إلى الفن، وأقدرها على مزج الجمالين، جمال المرأة وجمال الطبيعة، وأنجعها في الكشف عن الذوق العربي في تصوير الجمال، وكيف أحب الشاعر الجاهلي بيئته على ما فيها من قسوة وجفاف، غير أن هذه الطبيعة مهما كان فيها من جمال، إلا أنها لم تكن تروي ظمأ الشاعر ولا تغنيه عن جمال الأنثى الذي كان عند الشاعر الجاهلي، حيث مثّل

[1] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 104.

[2] – المصدر نفسه ، ص: 173.

[3] – المصدر نفسه، ص: 186.

[4] – المصدر نفسه، ص: 187.

الجمال الأعلى الذي يتغنى ويُسحر به» [1].

ويظهر هذا النوع من النمط في شعر امرئ القيس حينما يقول:

«وَقَد أَعتَدَي وَالطَّيرُ فِي وَكنَاتِهَا بمنجرد قَيدَ الأَوَابِدِ هَيكَلِ

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحشِ حَوَل خِبائِنَا وَأَرجَلنَا الجَزَعَ الَّذِي لَم يَثقُبِ» [2].

لقد تناول الشاعر المألوف من المناظر ورسم منه خطّا، وإذا الصورة تبدو بملامحها كما لو كانت كاملة بجميع جزيئاتها وتفاصيلها.

ويقول أيضا:

«وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنوَاعِ الهُمُومِ لِيَبتَلِي

فَقُلتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلبِهِ وَأَردَفَ أَعجَازًا وَنَاءَ بِكَلكَلِ

أَلا أَيُّهَا اللَّيلُ أَلا انجَلي بِصُبحٍ وَمَا الإِصبَاحُ مِنكَ بِأَمثَلِ» [3]

3- الغزل الصريح الماجن:

إن العرب في جاهليتها لم تكن «تألف الغزل المكشوف، بل كانت تؤثر التلميح على التصريح، والإشارة الموحية على العبارة الفاضحة، ولهذا قلّ في غزلهم وصف السوءات والحديث عما يجري بين الرجل والمرأة من مراودة تفضي إلى الوصال» [4]. وقد ظهر في هذا العصر لونان من الغزل: الوصف الفاضح والقصص الماجن.

أما الوصف الفاضح أبيات متفرقة يصف فيها الشعراء ما استتر من جسم المرأة بألفاظ غير مكشوفة تخفي المعنى الساقط بالعبارة المهذبة، أما القصص الماجن فينطوي على مجموعة من أخبار نقلتها كتب الأدب عن مغامرات الشعراء، وما رافق هذه المغامرات من قصائد ومقطوعات تروي جرأة الشعراء واقتحامهم أخبية النساء ومراودتهن وإغوائهن، وهي أخبار يختلط فيها الخيال بالواقع والوهم بالحقيقة» [5].

---

[1] – ينظر غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص: 117-118.

[2] – حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص:

[3] – حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص:

[4] – غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص: 126.

[5] – ينظر المصدر نفسه، : 126-127.

ويظهر هذا النوع من الغزل الصريح الماجن حيث يقول امرؤ القيس:

« أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِ

أَغَــرَّكِ مِـنِي أَنَّ حُـبَّكِ قَاتِلِي وأَنَّكِ مَـهَمَا تَأْمُـرِي القَـلْبَ يَفْعَلِ» [1]

4- غزل الكهول:

يظهر هذا النوع من الغزل في الشعر الجاهلي حيث «حيث الصراع بين العجز الحاضر والقدرة المحطمة أو بين رغاب الشاعر المتصابي وصدود المحبوبة المعرضة... وأقوى المعاني بروزا في هذا الضرب من الغزل انكسار الشاعر بعد شموخ، وضجره بعد سرور، وشكواه الشيب الذي يغزو شعره، والانحناء الذي يعرو ظهره» [2] أي أن هذا النوع من الغزل يظهر عند الكبار عندما يغطي الشيب شعرهم ويصبحون غير قادرين على العطاء كما كانوا صغارا.

يقول عنترة بن شداد:

«هلَّا سَأَلتِي الخَيلَ يَا ابنَة مَالِك إِن كُنتِ جَاهِلَة بِمَا لَم تَعلَمِي

يُخبِرُكِ مَن شَهدَ الوَقِيعَة بِأَنَّنِي أُغشِي الوَغَى وَ أَعف عَنِ المِغنَمِ» [3]

الشاعر يخاطب عبلة هل سألت الفرسان عن حاله في قتاله وغزواته إن كانت جاهلة بما لم تعلم عن شجاعته.

ويقول ايضا:

«فَإِذَ شَرِبتُ فَإِنَّنِي مُستَهلِكُ مَالِي وَعِ رضِي وَآخَرَ لَم يُكلَمِ

وَإِدا ضَحَوتُ فَمَا أُقصِّر عَن نَدى وَكَمَا عَلِمتِ شَمَائِلِي وَتكَرُّمِي» [4]

الشاعر يصف شرب الخمر بأنه مهلك المال، ويفتخر بأن سكره يحمله على محامد الأخلاق، ويقول وإذا صحوت من سكري لم أقصر عن جودي وكرمي، أي يفارقني السكر ولا يفارقني الجود.

[1] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة البوليسية، د ب، ط2، د ت، ص: 79.

[2] – غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص:129.

[3] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 176-177.

[4] – المصدر نفسه، ص: 77.

مكانة المرأة في العصر الجاهلي:

كانت حقوق المرأة عند العرب في الجاهلية مهدورة، وكرامتها ضائعة والمجتمع يحتقرها ولا يعترف بإنسانيتها، وإذا بشر العربي بأنثى تألم لسماع الخبر ، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ**﴾[1]

إن كره العرب للبنات لم يكن عاما، فمنهم من كانوا «يحبون بناتهن ويبذلون في إكرامهن غاية جهدهم، دون أن يمنعهم ما كانوا يتقونه منهن من الفضيحة وثقل المؤونة عن توفيتهن حقهن من العناية والتربية، حيث كانوا يجزعون لأقل أذى يحل بهن ويظهر ذلك في قول حطاب بن المعلّى:

وَإِنَّمَا أَولَادُنَا بَينَنا أَكبَادُنا تَمشِي عَلَى الأَرضِ

لَو هَبَّت الرِّيحُ عَلَى بَعضِهِم لَامتَنَعَت عَينِي مِنَ الغَمَض» [2]

الكاتب يحن على أولاده ويدافع عنهم مهما كانت الصعوبات.

يرى الدكتور يحي الجبوري أن منزلة المرأة في الجاهلية اختلفت بحسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها «أما الحرة فقد كانت منزلة رفيع في نفوسهم، لقد كانت تشارك الرجل في كثير من الأعمال، تربي الأولاد، وتخرج إلى لقتال، تضمد الجرحى، وتغزل النسيج» [3] لقد كان للمرأة الجاهلية دور كبير في القبيلة من خلال بعض الأعمال التي تقوم بها وذلك لمساعدة الرجل.

ومهما يكن فإن «مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي على ما فيها من الهنات والمساوئ، مكانة كريمة، والمرأة نفسها عرفت بالعفة والأدب والحرص على شرفها وكرامتها، وهذا أمر طبيعي في مجتمع

[1] - سورة النحل، الآية: 58-59.
[2] - حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص: 12.
[3] - يحي الجبور، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5، 1986، ص: 71-72.

يتبوأ فيه العرض والشرف المكانة العليا، ويحرص العربي فيه على عرضه حرصه على الحياة» [1]. لقد حرص العربي على حماية المرأة حفاظا على عرضه وشرفه والدفاع عنه بكل الطرق والسبل.

يرى حبيب الزيات أن «بعض الإسلاميين أراد أن يهنئ بعض الوزراء قديما بابنة ولدت له فقال:

وَلَو كَانَ النِّــسَاءُ كَمــثِلِ هَذِهِ لَفُضِّلَت النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

فَمَا التَّأنِيثُ لِاسمِ شَمسٍ عَيب وَلَا التَّذكِيرُ فــخرُ لِلــهِلَالِ» [2]

الشاعر يعبر عن موقفه الداعم للأنثى من خلال هذه الأبيات التي امتدحها فيها بأجمل وأرقى العبارات التي نلتمس منها قوة التعبير في تفضيلها أحيانا عن الذكر.

[1] - يحي الجبور، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه ،ص 75.
[2] - حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، ص: 11.

الخصائص العامة في الغزل الجاهلي:

أبرز خصائص الغزل في العصر الجاهلي ما يلي:

- الأصالة والصدق والتعبير الراقي عن غريزة الجنس.
- بروز الصيغة الفردية في شعرهم.
- الصراحة والوضوح، فقد كان الشاعر الجاهلي يعبر عما في نفسه من ميل إلى الأنثى.
- قدرة التعبير عن البيئة الجاهلية وإبراز صلة الإنسان بالأرض.
- دقة النسيج وعذوبة اللفظ ورشاقة العبارة» [1].

[1] - ينظر غازي طليمات ، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياه أغراضه أعلامه فنونه، ص: 131-132.

الغزل في صدر الاسلام والعصر الأموي

خفت شعر الغزل في صدر الإسلام عما كان عليه الحال في العصر الجاهلي لأن الشعراء انشغلوا بالفتوحات والدعوة الإسلامية، ومنهم من انشغل بشعر الفخر بإخوانه المسلمين، ومنهم من انشغل بهجاء الكفار كما هو الشأن بالنسبة لشاعر الرسول (ﷺ)، حسان بن ثابت، الذي قال له الرسول اهجهم وروح القدس معك.

والإسلام لم يحرم شعر الغزل، وإنما حرم الشعر الذي يخوض في أعراض النساء، ويهتك حرماتهم، ولهذا قال سراج الدين محمد: «الإسلام لم يحرم الحب، لكنه أراد أن يجعل منه قوة دافعة نحو الخير، كما أراد أن يحصن هذا الحب ويرفعه عن مستوى الجاهلية، وأن يسمو بهذه العاطفة فلا تنطلق في المعصية، لقد ربط الإسلام بين الحب والعفة كما في قول النبي (ﷺ)، من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد»[1]. الإسلام لم يحرم الشعر وإنما حرم قول الفحش الذي يخوض في أعراض الناس.

وأضاف سيراج الدين محمد يقول: «عموما الإسلام لم يحرم الشعر لكن الشعراء خاصة منهم الأتقياء كفوا لفترة عن النظم ماعدا بعض القصائد في المدائح النبوية وشرح العقيدة وهجاء الكفار، أما شعراء الغزل فقد تأقلموا مع الدين الجديد واقتصر نزلهم على مالا يؤذي الشعور ولا يشجع على المعصية... ولقد ظهر في هذا العصر ثلاثة أنواع من الغزل: الغزل العذري الذي يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة يتغزل بها بأسلوب عفيف يتلاءم مع الفكر الإسلامي، والغزل العمري أي الفاحش مع تعدد الحبيبات، والغزل التقليدي الذي كان يلجأ إليه الشعراء استجابة منهم لتقاليد القصيدة العربية التي اعتادوا على البدء بها بالغزل »[2]. ظهور الإسلام كان له تأثير كبير في توجيه الشعراء إلى طبوع أخرى من الشعر.

والغزل العذري يعبر «عن العواطف المتعففة والملتهبة في وقت واحد، فالشاعر الذي لم يقترن بحبيبته وجد بالشعر تعويضا يطفئ به لهيب حبه، ويرتفع فيه عن غرائزه، وتمتاز عاطفة الشعراء العذريين، بأنها دائمة لا تخمد ولا يصيبها الملل، ولا يقف بوجهها أي طرف كان، فانطلقوا يغنون

[1] – سيراج الدين محمد، موسوعة روائع الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط، دت، مج4، ص:19.
[2] – المرجع نفسه، ص: 19-20.

عواطفهم ويصفون آلامهم وآمالهم، ويمتاز الحب العذري باقتصار الشاعر على محبوبة واحدة يقترن اسمه باسمها فقيل: جميل بثينة، وكثير عزة، ومجنون ليلى، وقيس لبنى... هؤلاء الشعراء يحبون المرأة لذاتها وليس لجمالها، ولا تزيدهم الأيام إلا تعلقا بهذا الحب الذي يعيش دائما في ظمأ، حبهم عفيف يأسر عقلهم، حبهم يائس غالبا »[1]. اهتم شعراء الغزل العذري بالعفة والطهارة في شعرهم.

ومن أمثلة الغزل في صدر الإسلام في زمن الرسول (ﷺ)، قول كعيب بن زهير بن أبي سلمى في حضرة النبي (ﷺ)، وقد جاء بطلب الدخول والصفح، فقال:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ

بانت: فارقت، متبول: أصيب بتبل، أي تبلت قلبي، ومتيم مضلل وهو التذلل، أي ذلله الحب، ومكبول محتبس عندها، الكبل: القيد، لم يفد من الفداء، فهو هنا ويظهر حبه لسعاد، وأن قلبه متيم بحبها، وقال:

وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ

الأغن: الذي في صوته غنة ، وغضيض الطرف، فاتر الطرف، فقد وصف صوتها بأنه فيه غنة، وهذه الغنة زادته رونقا وجمالا، ووصف طرفها فاتر أسود، والطرف يقصد به طرف العين» [2]،

وقال كذلك:

تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلَمٍ إِذا اِبتَسَمَت كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ

العارض: الأسنان، وهي ما بين الثنية والضرس، والظّلم ماء الأسنان، ومنهل: قد أنهل بالخمر، والنهل: أول شربة، والمعلول: قد سقي مرتين، والعلل: الشرب الثاني، حيث وصفها بأنها تظهر أسنانها حين تبتسم، وهذه الأسنان ذات ماء كأنه شراب قد سقي به، وقال أيضا:

يا وَيحَها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت ما وَعَدَت أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ

[1] – محمد سراج الدين، موسوعة شعر العرب، ص: 20.

[2] – ينظر أبو سعيد بن الحسن بن الحسن، بن عبيد الله، السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مطبع دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، ط3، 2002، ص: 6.

خلة: يقال للذكر وكذلك للأنثى، ويقصد بها حبيبته، ما أتهمها لو لم يكذب موعدها، ولو قبلت نصحي لها في أمري، ولكن هذا مما ينقصها »[1]

ويقول أيضا:

لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ

سيط: خلط، والذي يخلط به: المشواط، والفجح: المصيبة، والولع: الكذب، حيث أراد أن يقول أنها حبيبة قد خلط من دمها المصيبة و الكذب، فهي غير صادقة في حبها أو في وعدها، ولهذا قال في البيت الذي بعده:

فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ

وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ

فبعد أن وصفها بأنه قد خلط بدمها الفجع، بالمصائب والكذب في الأخبار وإخلاف الوعود وتبديل خيلا بآخر، فوصفها في تمسكها بالوصل كالغرابيل في إمساكها بالماء وهي كناية عن عدم تمسكها بالوصل، كما وصفها بإخلافها بالوعد مثل عرقوب في إخلافه بالوعد، وبأن مواعيدها كلها أباطيل »[2].

إلى أن يقول:

أَرجو وَآمُلُ أَن يَعجَلنَ في أَبَدٍ وَما لَهُنَّ طِوالَ الدَهرِ تَعجيلُ
فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ
أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المراسيلُ

[1] – ينظر، أبو سعيد بن الحسن بن الحسن، بن عبيد الله، السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، ص: 7.
[2] – ينظر، المصدر نفسه، ص: 6-8.

يريد كعب من قوله هذا، أن يفين، أي النساء بما وعدن على عجل ولو مرة في الدهر، ولكنهن لا يصدقن طول عمرهن، وقوله طوال الدهر: أي ما بقي من عمره، وفي قوله: لا يبلغها إلا العناق النحبيات المراسيل، أي أن سعاد أصبحت في أرض لا يستطيع بلوغها إلا بالنوق الخفاف التي تعطيه كل ما عندها عفوا، فهو يقول لا يُبَلّغُني سعاد إلا مثل هذه النوق لبعدها عني»[1].

تعتبر هذه الأبيات لكعب بن زهير من أول أبيات الغزل في زمن رسول الله (ﷺ)

نموذج من غزل جميل بن معمر:

هو جميل بن معمر من بني عذرة، ولد في وادي القرى بالحجاز وكانت أسرته غنية وسرية، وكان من ذوي النعمة والجمال، « لقي بثينة مرة وهي قريبة له فأحبها ونظم فيها الشعر، فجزع أهلها وزوجوها لرجل آخر، فمضى جميل يهيم على وجهه في الفلوات، ينسج قصائد في اللوعة والتذكار والندم والشعور بالقسر والمستحيل، وكان يسعى حينا بعد حين إلى الاتصال بها، يفلح ويخذل دون أن يبرئ ذلك نفسه من دائها حتى شكاه اهل بثينة إلى والي المدينة فهدر دمه، ولقد تسيب جميل إثر ذلك ونبت به المضاجع وتضاعفت معاناة الحب في نفسه بمعاناة الخوف، ظل يهيم على وجهه حتى توفي بمصر »[2].

بعد كل هذه المعاناة التي لم تشفع له بالظفر بمحبوبته، نظم جميل بن معمر أبياتا فيها يشكو حاله، فيقول فيها:

«ألا ليتَ ريعانَ الشبابِ جديدُ ودهراً تولى ، يا بثينَ، يعودُ
وأفنيتُ عُمري بانتظاريَ وَعدها وأبليتُ فيها الدهرَ وهو جديد
يموت الهوى مني إذا ما لقيتها و يحيا إذا فارقتها فيعودُ
يَقولونَ جاهِد يا جَميلُ بِغَزوَةٍ أَيَّ جِهادٍ غَيرُهُنَّ أُريدُ

[1] – ينظر، أبو سعيد السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، ص: 09.

[2] – إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط4، 1979، ج2، ص: 307.

لِكُلِّ حَديثٍ بَينَهُنَّ بَشاشَةٌ وَكُلُّ قَتيلٍ عِندَهُنَّ شَهيدُ
عَلِقتُ الهَوى مِنها وَليداً فَلَم يَزَل إِلى اليَومِ يَنمي حُبُّها وَيَزيدُ
فَهَل أَلقَيَن فَرداً بُثَينَةَ لَيلَةً تَجودُ لَنا مِن وُدِّها وَنَجودُ»[1]

ولأنه كان مطاردا من طرف والي المدينة، فقد عاش جميل بثينة في أحلام وأوهام، عاش في أحلام أنه سيعيش في يوم ما مع محبوبته بثينة، وعاش في أوهام أيضا بتوهم أنها لم تتزوج وما زالت تنتظره، وفي هذا يقول الدكتور إيليا الحاوي: «إنها قصيدة من الوجد والتذكار والشعور باستحالة الأشياء، وتزجي العمل في هاوية دون عودة أو بعث، ومنذ المطلع نراه يتمنى أن يعود الشباب الأول و الزمن المنصرم..." وهكذا فإن بثينة زُوّجت إلى امرئ آخر، وأقامت بكنفه، وغدت خليلته، وذلك مانع حري أن يقسر الشاعر على النبوّ عن قصده، والإذعان لواقع الحياة الجديدة التي سارت إليها بثينة، إلا أنه مع ذلك يرفض الواقع الجديد رفضا نفسيا، ويظل يعايش بثينة الأولى التي لم تتزوج ولم تقترن عليه، وكأنها في عهدها الأول، حين لقيها في المرعى »[2]. لقد كان جميل مهووسا بحب بثينة.

ويقول الدكتور "إيليا الحاوي" كذلك: «وفي لحظات يتوب الشاعر إلى رشده ويجد أنه أقام في غفلة وأن ما تنكر له من فعل الزمن والصيرورة قد عدّا به وساقه وأزجاه في هوته وهو يحسب ذاته مقيسا، وهكذا يحس جميل أن الانتظار اللا مجدي وأن الثواني التي ينتظر بها عودة الماضي كانت تميل به إلى الهرم، حتى أوشك الدهر أن يهرم من دونه، وفي ذلك يستحيل الشوق إلى نوع من اليأس الذي يفصح عن ذاته بالخيبة من تعثر الزمن ومن ممانعة الأحداث وأنه يهدر عمره هدرا مملقا» [3]. جميل بن معمر يعيش بشخصيتين متناقضتين، بين الواقع والوهم.

وبخصوص الوهم الذي كان يعيش فيه جميل بعد مفارقته لمحبوبته يرى "الدكتور ايليا الحاوي"، الصورة النفسية الداخلية التي يصانعها الشاعر للفتاه من قوله:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيى إذا فارقتها فيعود

فهذا البيت الذي قال عليه في صدفة المعاناة دون وعي وتعمد لغايته، يوحي بأن «جميلا كان يحتضن امرأة أخرى في نفسه منسوخة عن بثينة الواقعية والتي تزوجت وانجبت، تلك امرأة أولى فتية،

[1] – إليا الحاوي، في النقد والأدب ، ص: 307
[2] – المصدر نفسه ، ص: 308.
[3] – المصدر نفسه، ص: 308-309.

مقبلة، امرأة حنان ووجد، أقامها في محراب نفسه، فيما انساقت بثينة الثانية الواقعية في تيار الزمن وتآكلت في رحمه وعاشت حياتها، لهذا نراه يدنو منها فيموت الهوى وينأ عنها فيحيا الهوى من جديد»[1].

أما الجهاد الذي ينهد إليه الناس في الغزو وفي تقبل واقع الحياة لا يجد إلى نفس جميل سبيلا، ذاك أن الجهاد هو قبول بالواقع وتصارع في سبيله وفي سبيل الاحتفاظ بحياة يرفضها، وليس قوله: وأيّ جهاد غيرهن أريد، ذا محتوى ديني إنما هو ينطوي على مضمون وجودي في رفض الانصياع لطفيليات الكفاح من أجلها ونيل الرزق بين أحضانها وهي تلك الحياة التي أزرته وسيرته على هواه، فهو لا يرفض ولا ينكر الجهاد في سبيل الله، بل يرى أن جهاده الحقيقي هو نيل مبتغاه والظفر بمحبوبته »[2].

ويقول كذلك:

إِذَا قُلتُ مَابِيَ يَا بُثَينَةُ قَاتِلِي من الحبّ قَالَت ثَابِت ويَزِيدُ«

وَإِن قُلتُ رُدِّي بَعضَ عَقلِي اعِش بِهِ مَعَ النَّاسِ قَالَت ذَاكَ مِنكَ بَعيدُ

فَلَا أَنَا مَردُودُ بِمَا جِئتُ طَالِبًا ولَا حُبَّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ»[3]

يقول شوقي ضيف: "شعر جميل كله في بثينة على هذا النحو يمتاز بصدق اللهجة، وحرارة العاطفة، وقد ظلت بثينة تحفظ له حبه، إلى أن وافاه القدر بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان عليها، فبكته، ويقول الرواة أنها ظلت تبكيه إلى أن لحقت، ومن شعره في ذكر بثينة، يقول جميل بن معمر:

وَإِنّي لَأَرضى مِن بُثَينَةَ بِالَّذي لَوَ اَبصَرَهُ الواشي لَقَرَّت بَلابِلُه

بِلا وَبِأَن لّا أَستَطيعَ وَبِالمنى وبالأمل المرجو قَد خَابَ آمِلُه

وَبِالنَظرَةِ العَجلى وَبِالحَولِ تَنقَضي أَواخِرُهُ لا نَلتَقي وَأَوائِلُه

يقول الدكتور شوقي ضيف: "كانت تلتمس فرصة من أهلها أحيانا فتلقاه، فتشرق الدنيا في عينه، ويسعد سعادة لا حدَّ لها، وخطبها من أبيها فردَّه، لكراهة العرب أن يزوجوا فتياتهم ممن يتغزلون

[1] – ينظر، إليا الحاوي، في النقد والأدب ، ص:309.

[2] – ينظر، المصدر نفسه، ص: 309.

[3] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط20،2002، ج2، ص: 369.

بهم، هكذا تزعم القصة، ويزوجها أبوها من فتًى في القبيلة يُسمَّى "نُبَيهًا"، فسوَّد الدنيا في عين جميل، ويلتاع لوعة شديدة، ويصبح حبها كل حياته، فهو يملك عليه كلَّ شيء، ويأخذ عليه كل طريق»[1].

ويمضي جميل في شكواه والتعبير عما فعله حب بثينة في نفسه فيقول:

«لها فِي سَوادِ القَلبِ بِالحُبِّ مِيْعَةٌ هِيَ الموتُ أو كادَتْ علَى الموتِ تُشرِفُ
وَمَا ذَكَرَتْكِ النَّفسُ يا بَثنُ مرَّةً مِن الدَّهرِ إلَّا كادَتِ النَّفسُ تَتلَفُ
وإلَّا اعتَرَتْنِي زَفرَةٌ واستِكانَةٌ وَجَادَ لَهَا سَجْلٌ مِن الدَّمعِ يَذرُفُ
وَمَا استطرَفَتْ نَفسِي حدِيثاً لِخُلَّةٍ أُسَرُّ بِهِ إلَّا حَدِيثُكِ أَطرَفُ»[2]

فقد ذكر أن في قلبه ميعة من حب بثينة والميعة هي حرارة الحب وقوته، وهذه الميعة شبهها بالموت أو تكاد تشبهه، وكلما تذكرها نفسه تكاد تتلف، ويقول بأن نفسه لم تستطرف حديثتا لخليل يسرُّ بهِ إلا حديث بثينة فهو الذي يستأنس به ويسَرُّ به.

من خلال هذه النماذج التي نقلناها من شعر جميل بثينة، يتضح لنا أن حبه لبثينة كان حبا صادقا، لا تشوبه شائبة، كما أن تغزله بها كان تغزلا عفيفا طاهرا، إذ لم يعرض بها ولم يتعرض لعرضها، وإنما كان شعره تعبيرا عما كان يعانيه من لوعة الشوق، وبعدها عنه، خاصة بعد تزويجها لرجل آخر غيره، وهو الأمر الذي أدخله بوتقة التيه والبحث غن أي سانحة تسمح له برؤية بثينة ولو لبرهة ليكسر هذا الشوق والأسى.

الغزل في شعر عمر بن أبي ربيعة:

ولد عمر بن أبي ربيعة سنة ثلاثة (23) وعشرون للهجرة، في بيت قريشي واسع الثراء، وهو بيت بني مخزوم، لأبيه عبد الله بن أبي ربيعة، ولأم يمنية أو حضرمية تُسمَّى مجدًا، وكان أبوه في الذروة من قومه في الثراء، واستعمله الرسول صلّ الله عليه وسلم واليا على إقليم من اليمن يسمّى الجند،

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج2، ص: 368.
[2] – المصدر نفسه، ص: 368.

وظل عليه في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، توفي عبد الله بن أبي ربيعة سنة خمس وثلاثين للهجرة، وفيها ولد عمر، رعته أمه وكان جميلا فدلَّلَتهُ، يؤازره في ذلك ما ورثه عن أبيه من أموال وفيرة»[1].

وقد عاش حياته للغزل الصريح، ويسر له ثراؤه هذه العيشة، فالدنيا دائما مشرقة باسمة من حوله، والمغنيون والمغنيات من أهل مكة مثل ابن سريج وابن مسجح والغريض يلزمونه ويغنونه في شعره، حتى يظن أنهم كانوا يقاسمون حياته، فضلا عن ماطانا يعطيهم من عطايا جزله، ويقول الرواح إنه كان ببيته مغنيتان تغنيان في أشعاره هما "يغوم و أسماء"، وسرعان ما يطير غزله إلى المدينة، فإذا مغنوها ومغنياتها من مثل "معبد و جميلة" يغنون فيه، ويلم بالمدينة كثيرا، ويصبح أكبر غزلا في عصره، ولهذا لم يكن غريبا أن يخلق أضخم ديوان لا في عصره وحسب، بل في جميع العصور العربية»[2]

و كان عمر بن أبي ربيعة إذا جاء موسم الحج اعتمر ولبس أحسن الثياب وأفخرها، وتضمخ بالطيوب وأسبل لمته وركب نجائبه المخضبة بالحناء، وخرج من مكة قاصدا النساء القادمات من المدينة والشام و العراق للحجيج فيتعرض لهن و يحدثهن ويتشبب بأجملهن وأشهرهن و هن في مناسك الحج، أو يترقب خروجهن للطواف وهن محرمات فيرى منهن ما لا يراه خارج الإحرام، وقد بلغ من شهرته أن صارت الحاجات وفيهن نساء من بيوت الأشراف يتنافسن في التعرض له ليتشبب بهن في شعره، فكان الأعيان يخشون على نساءهم منه، ويروى أنه تاب إلى الله في أواخر حياته، ونذر ألا يقول بيت شعر إلا أعتق عبدا أو آمة حتى مات»[3].

وفي هذا الاطار يقول عن هذه الحالة:

[1] – ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج2، ص: 349.

[2] – ينظر، المصدر نفسه، ج2، ص: 350.

[3] – كمال خلايلي، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ، ط1، 1993، ص: 61.

« يَقصِدُ النَّاسُ للطَّوافِ احتِسَابًا وَذُنُوبِي مَجمُوعَة فِي الطَّوَافِ »[1]

وعندما تنتهي مواسم الحج، «يتصدّى لكل فتاة جميلة بمكّة وخاصة الثريا بنت علي الأموية، وينزل المدينة فيتصدى للقريشيات الجميلات بها من مثل "سكينة بنت الحسين وزينب الجمحية"، وعلى هذا النحو كان لا يزال يتغزل في فتيات قريش النبيلات، ومن ثم وصف ترفهن وما كنّ فيه من نعيم»[2]. وهكذا كان يطلق على الشاعر عمر بن أبي ربيعة، زعيم الغزل الإباحي نظرا لخوضه في أعراض النساء مهما كان حسبهن ونسبهن.

قال عمر أبياتا يتغزل فيها بـ "رملة بنت عبد الله الخزاعية"، فرويت لأم نوفل، فبلغتها إلى الثريّا، فغضبت عليه وهجرته فقال:

قالَ لي صاحِبي لِيَعلَمَ ما بي أَتُحِبُّ القَتولَ أُختَ الرَبابِ
قُلتُ وَجدي بِها كَوَجدِكَ بِالماءِ إِذا ما مُنِعتَ بَردَ الشَرابِ
مَن رَسولي إِلى الثُرَيّا بِأَنّي ضِقتُ ذَرعاً بِهَجرِها وَالكِتابِ
أَزهَقَت أُمُّ نَوفَلٍ إِذ دَعَتها مُهجَتي ما لِقاتِلي مِن مَتابِ
حينَ قالَت لَها أَجيبي فَقالَت مَن دَعاني قالَت أَبو الخَطّابِ
أَبرَزوها مِثلَ المَهاةِ تَهادى بَينَ خَمسٍ كَواعِبٍ أَترابِ

يقول عمر بن أبي ربيعة: أَتُحِبُّ القَتولَ وهي الكثير القتل، بجمالها والرباب: السحاب الأبيض واحدته ربابة، حيث وصفها بأنها اخت السحاب الأبيض، وجدي بها كوجدك بالماء، أي تعلقي بها وحبي لها كحاجتك للماء، وهو يخاطب صاحبه، وقوله: ذقت ذرعا بهجرها والكتاب، أي ضجرت وشق عليّ هجرها، والكتاب: يقصد به كتاب الله، الواو: واو القسم، وكقوله: أبو الخطاب، كناية عن عمر وهو يقصد نفسه، وقوله: أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب

[1] – كمال خلايلي، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي ، ج2، ص: 350.
[2] – المصدر نفسه، ج2، ص: 350.

المهاة: البقر الوحشي، يشبه بها في جمال العينين، تهادى: تتهادى، اي تتمايل في مشيتها، وقوله: كواعب جمع كاعب، وهي الفتاة التي نهد ثديها، والأتراب: المتماثلات في السن، واحدة ترب»[1]

وأضاف يقول:

فَأَجابَت عِندَ الدُعاءِ كَما لَبى رِجالٌ يَرجونَ حُسنَ الثَوابِ
وَهيَ مَكنونَةٌ تَحَيَّرَ مِنها في أَديمِ الخَدَّينِ ماءُ الشَبابِ
دُميَةٌ عِندَ راهِبٍ ذي اِجتِهادٍ صَوَّروها في جانِبِ المِحرابِ
«وَتَكَنَّفنَها كَواعِبُ بيضٌ واضِحاتُ الخُدودِ وَالأَقرابِ
ثُمَّ قالوا تُحِبُّها قُلتُ بَهراً عَدَدَ النَجمِ وَالحَصى وَالتُرابِ»[2]

يقول الشاعر بأنها أجابت عندما ناداها، فقالت لبيك كما يقول الحاج لبيك اللهم لبيك، وهي مكنونة أي مصونة لم تمسها الأيدي، تحيّر الماء: أي اجتمع ودار والأديم: هو الجلد، ثم وصفها بأنها مثل الدمية، والدمية هي الصورة الممثلة من العاج وغيره ويضرب بها المثل في الحسن، فهي ذات حسن وجمال، والراهب: الكثير الاجتهاد، أي كثير العبادة، شديد الورع، فهي عند راهب كثير الورع يحرصها ويصونها، من أي مكروه، وقوله: تكنفتها، اي أحطن بها، والأقراب الخواصر: واحدتها قرابة، والمقصود بواضحات الأقراب ضامرات الخواصر، وقوله، قالوا تحبها؟ قلت بهراً: أي أحبها حبا عجيبا يفوق كل حب»[3].

[1] – ينظر،كمال خلايلي، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي، ص: 62-63.
[2] – المرجع نفسه، ص: 62.
[3] – ينظر المرجع نفسه، ص: 63.

إلى أن يقول:

حينَ شَبَّ القَتولَ وَالجيدَ مِنها حُسنُ لَونٍ يَرِفُّ كَالزِرياب
أَذكَرَتني مِن بَهجَةِ الشَمسِ لَمّا طَلَعَت مِن دُجُنَّةٍ وَسَحابِ
فَارِجَحَنَّت في حُسنِ خَلقٍ عَميمٍ تَهادى في مَشيِها كَالحُبابِ
قَلَّدوها مِنَ القَرَنفُلِ وَالدُررِ سِخاباً واهاً لَهُ مِن سِخابِ
غَصَبَتني مَجّاجَةُ المِسكِ نَفسي فَسَلوها ماذا أَحَلَّ اِغتِصابي

في هذه الأبيات يصف الشاعر محبوبته بالحسن والجمال، فقال: حين شب القتول و الجيد منها، والجيد هو رقبتها، حيث شب حسن لونها، أي ابرز وأظهر جمالها وحسنها، يرق: أي يتلألأ، كالزرياب، أي كالذهب و اللؤلؤ، أوماء الذهب، ثم قال: أذكرتني من بهجة الشمس لما ظلعت من لجنة وسحاب، فقد شبهها في جمالها بالشمس حين تظلع بعد ظلام الليل، أو حينما تخرج من السحاب ساطعة متلألئة، وقوله: أرجحنّت: أي مالت واهتزت، وتتهادى في مشيتها كالحباب، أي تتمايل في مشيتها كالحية، فوصفها بأنها تميل في مشيتها وتهتز كما تتمايل الحية في زحفها.

ثم قال: قلدوها من القرنفل و الدر سخابا، والسخاب هو القلادة، فقد قلدوها قلادة مصنوعة من القرنفل والدر، فالقرنفل فيه رائحة زكية طيبة والدر نوع من الأحجار الكريمة، فإذا وضعته على جيدها زادها حسنا وجمالا، ثم قال: عصبتي ماجة المسك، ومجاجة المسك: هي التي تمج المسك، أي يخرج من فمها ريقا كالمسك طيبا ورائحة» [1].

ويقول في أبيات أخرى يصف فيها ما غرقت فيه القريشيات من حضارة وحلي وطيب:

[1]- ينظر كمال خلايلي ، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي ،ص:53 .

«قَالَت ثُرَيّا لَأَترابٍ لَها قُطُفٍ قُمنَ نُحَيِّي أَبا الخَطّابِ مِن كَثَبِ
فَطِرنَ حَبّاً لِما قالَت وَشايَعَها مِثلُ التَماثيلِ قَد مُوِّهنَ بِالذَهَبِ
يَرفُلنَ في مِطرَفاتِ السوسِ آونَةً وَفي العَتيقِ مِنَ الديباجِ وَالقَصَبِ
تَرى عَلَيهِنَّ حَليَ الدُرِّ مُتَّسِقاً مَعَ الزَبَرجَدِ وَالياقوتِ كَالشُهُبِ»[1]

يقول عمر: قالت ثرية لأتراب لها قطف، أي لمثيلاتها، لها قطف: جمع قطوف، وهي بطيئة الخطو، فمن نحيي أبا الخطاب من كثب: يقصد نفسه، من قريب، أي يقتربن منه، و يرفلن المطرفات، أي يرتدين ثياب نفيسة غالية، السوس بلد في المغرب، فهذه الثياب قد جلبت من بلاد المغرب، والديباج نوع من الثياب والقصب: هو الحرير، فهن يرتدين الحرير والديباج، وهو ما يزيدهن حسنا وجمالا ، كما أنهن يلبسن الحلي والدر والياقوت والزبرجد وكلها من الأحجار الكريمة، فإذا وضعنها على جيدهن ظهرت وكأنها مثل الشهب التي تضيئ في الليل المظلم، فيزيدهن نورا على نور.

[1]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج2،ص: 351 .

الفصل الثالث

تيارات ومدارس شعر الغزل في العصر الأموي

1- بداية العصر الأموي

يطلق على العصر الأموي « الدولة الأموية التي أقيمت في الشام م سنة 41 للهجرة إلى سنة 132 للهجرة (661م - 750م)» [1] ، أي نحو تسعين عام من الحكم.

يعد العصر الأموي واحدا من أكثر العصور الأدبية ازدهارا في نتاجه الشعري، حيث « لقي الشعر العربي الكثير من رعاية خلفاء بني أمية وعنايتهم وإينارهم ، وعقدوا المجالس لانشاده ونقده، وسمعوا الجواري يتغنين به في مجالس السمر واللهو، وأثابوا الشعراء عليه بشتى الجوائز وكريم العطاء، وهو سبيل لدعم ملكهم، وتأييد سلطانهم ووسيلة لامتلاك زمام القلوب الثائرة والنفوس الساخطة[2] »، أولى الأمراء والولاة الأمويون عناية كبيرة بالشعر والشعراء وذلك من أجل الحفاظ على عرش الخلافة لصالحهم.

وقد برز الشعر السياسي والغزلي في هذا العصر، فتسابق الشعراء إلى مدح الخلفاء والأمراء والتغزل بالمرأة.

1-1-الغزل:

يعد الغزل من أقدم الانواع الشعرية وأكثر شيوعا عند العرب ، فهو من أكثر الأغراض الشعرية المحببة إلى النفس، حيث «يصور من أحوال النفوس ما لا يصوره غيره، لأنه يكشف عن دخيلة المحب، ويكشف عن سريرة المحبوبة، وينبع من عاطفة المحب ويدور حول المراة، وحب المرأة»[3]، فهو عاطفة ود تتحرك في ذات الشاعر يعبر بها عن الحب أو الاعجاب.

[1] - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي،ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ص: 351.

[2] - محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام، دار الجبل، بيروت، لبنان، د ط 1990 ، ص: 373-374.

[3] - أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1950، ص: 2.

2-1 تيارات شعر الغزل في العصر الأموي

يرى حنا الفاخوري في كتابه " الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم أنه أصبح للغزل في هذا العصر تياران هما: «تيار الإباحة وتيار العفاف»[1] . حيث تنظم فيهما القصائد كما تنظم في غيرهما.

2- 1 الغزل البدوي العفيف (العذري) :

وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى بني عذرة، وهي قبيلة بدوية من بني قضاعة، اشتهر شبابها بالحب البريء الصادق، والهوى العفيف المضني، والموت في سبيل المحبوب، «حتى قيل لرجل منهم: ما بال العشق يقتلكم يا بني عذرة؟ فقال: لأن فينا جمالا وغفة » [2]، لقد نشأ هذا اللون في بادية الحجاز بين الشباب: فهو غزل شريف نزيه عن قول الفحش والكذب.

2-2 خصائصه

يتميز الغزل العذري بمجموعة من الخصائص نذكر منها:

1- العفة والنقاء

شعر الغزل العذري يعبر عن مشاعر الحب النقي و العفيف، «ومسلك العذريين يقارن بمسلك الزهاد الأتقياء إذ أنهم وجدوا طريقا فيه بين زهدهم و مطالب عفتهم، وأطاعوا في حبهم العف قلوبهم و دينهم و يبررون حبهم بالقضاء و القدر »[3]. حيث يكون حبهم خالص و صادق وهذا ما نلاحظه في شعر جميل بن معمر حينما يقول:

« فَلو أرسلَت يَومًا بثينة تبتغِي يَمِيني وَإِن عَزَّت عَلَى يَمِينِي

لَأعطيتُهَا مَا جاء يبغي رَسُولهَا وقلت لها بعد اليمين، سليني»[4]

الشاعر عفيف في حبه وفي أحاديث حبه وذلك من خلال الصدق الظاهر في السخاء.

---

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986،ص441

[2] - محمد عبد المنعم، خفاجي الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ،دار الجبل، بيروت، لبنان، د ط، 1990، ص: 122.

[3]- صلاح عيد، الغزل العذري، حقيقة الظاهرة، و خصائص الفن، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1993،ص: 30.

[4] - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 204.

2- الاكتفاء بمحبوبة واحدة

تميز الشاعر العذري في غزله بمحبوبة واحدة، حيث يكون الوفاء وصدق المشاعر والاخلاص، فهو « يمتد إلى شخص كامل، لا يعرف غيره ولا يستهويه سواه، فينصب فيه انصبابا[1] » ، الشاعر لا يكون مشغولا إلا بتلك المحبوبة عن بقية ما يلهيه، حتى لو تزوجت بغيره أو تزوج هو بغيرها.

يقول جميل بن معمر:

« بهواك ما عشت، الفؤاد فإن أمت يتبع صداي صداك بين الأقبُر» [2]

تبدو عاطفة الشاعر صادقة وذلك من خلال صدقه الظاهر والثابت في حبه لبثينة مهما كانت الصعوبات والتحديات التي واجهته.

3- سهولة الألفاظ والأسلوب

شعر الغزل يتميز بسهولة اللغة والأسلوب، لأن طبيعة ذلك الشعر تتصل بالمشاعر والأحاسيس، وهذا النوع« يكون أكثر رقة في اللفظ وجودة في المعنى وعمقا في دقة التصوير وحسن الخيال لأنه يصدر في ذلك عن حس مرهف ومن قلب حي [3]»، حيث يعبر الشاعر عما تجود به نفسه من مشاعر وأحاسيس.

سهولة الألفاظ والأسلوب تظهر في شعر جميل بن معمر حيث يقول:

« خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلي»[4]

أسلوب الشاعر صادق وظاهر بكاؤه على من يحب.

---

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الادب القيم، ص: 443.

[2] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 204.

[3] – حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب، مطبعة مصر، شركة مشابهة مصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1947، ص: 168.

[4] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 254.

4- الحزن والتشاؤم

عرف الغزل العذري بالنظرة التشاؤمية، لأن الشاعر يصف كل أحزانه وآلامه وذلك بالبكاء على الأطلال، فهو يذكر محبوبته« في غدوه ورواحه، وفي حله وترحاله وفي نومه ويقظته وفي رخائه وشدته... وحين يلتئم الشمل، أو تفرق بينهما الأيام، وهو في هذا كله يصفها ويصورها» [1] وهذا يتجسد في شعر جميل بن معمر حينما يردد كلمات صاحبته فيقول:

« وَمَا أنس م الأشياء أنسَ قولهَا وَقَد قَربت نضوي: أمصر تُريد»[2]

الشاعر يحي في شعره المواقف والمشاهد المؤثرة التي حدثت له مع من يحب، وكذلك يظهر الحزن والتشاؤم في شعر ليلى الأخيلية حينما بكت توبة بن الحمير تقول:

« فآليت ما أنفك أبكيك ما دعت على فنن ورقاء أو طار طائر»[3].

لقد بكت الشاعرة توبة بعد موته وطال بكاؤها ما طالت حياتها، ورثته بشعر هو أرق وأجمل ما نظمت وأقسمت فيه ألا تنسى صاحبها.

II الغزل االحضري الاباحي

هو تعبير عن العاطفة التي «تكالبت على اللذة في غير حرمان، فأصبح حكاية حال ووصف ألوان وأشكال وذكريات» [4]. وقد شاع هذا النوع « الماجن في الحجاز ولعل السبب في ذلك أن خلفاء بني أمية قد احتجزوا هناك شباب الهاشميين، وأغدقوا عليهم الأموال الطائلة وأغرقوهم بالخيرات الكثيرة، وسلطوا عليهم الفراغ والغنى، ليصرفوهم عن شؤون الخلافة وسياسة الدولة... وهكذا شاع هذا اللون وذاع، حتى شغل الناس به، وفتن النساء بروعته وسحره، وحتى كانت كل امرأة محجبة محصنة تتمنى أن يقال فيها شعر، تتباهى به على أترابها وتفخر على لدانها» [5] . ازدهر هذا اللون من

---

[1] – حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب، ص: 167.

[2] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 254.

[3] – المرجع نفسه، ص: 256.

[4] – حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص: 444.

[5]– محمد عبد المنعم خفاجي، الجامع في تاريخ الأدب العربي وتاريخه في العصرين الاموي والعباسي، ص: 108،109.

الشعر في ميادين اللهو و المجون مستجيب لما يتردد في النفس من شهوات عارمة و نزوات طائلة يثير الفتنة النائمة.

تغلب على هذا النوع من الغزل النزعة المادية التي تمزج بين عواطف الحب والميول الشهوانية والاستمتاع بالمرأة استمتاعا جسديا حيوانيا، ولم تكن المادية، والاستمتاع الجسدي من الخصائص البارزة في شعر شعراء الغزل الذي عرف في حضر الحجاز في هذا العصر إذ كان حظه من الجانب النفسي التحليلي المعنوي أكثر من الغزل الحسي الجاهلي، لعناية الشاعر فيه بحكاية خواطره ومشاعره، وخواطر المرأة التي يتعشقها، فعمر بن أبي ربيعة ورفاقه في هذا الغزل، لم يكونوا مجرد طالبي متعة حسية، يترجمون مغامراتهم إلى شعر بل كانوا رجالا يريدون أن يحيوا حياة عاطفية، لا هي خيالية مجردة كما يعيشها العذريون، ولا هي حسية مغرقة في المادية كما يراها كثير من الدارسين وإنما حياة ترتقي وتتطور فتتمايز عن هذا وذاك، إن هذا النوع الذي جرى على ألسنة الجاهليين وصوروا فيه تجاربهم الحسية في الحب وعلاقتهم العاطفية بالمرأة» [1]

خصائصه:

يتميز الغزل الحضري الاباحي بعدة مميزات، منها:

1- القصصية والحوار:

تعد هذه الميزة من أبرز الخصائص التي تميز بها الشاعر الحضري فهو « يصف أحوال النساء في منازلهن وتزاورهن ومحادثتهن ومداعبة بعضهن لبعض وتلاؤمهن وما يعتدن قوله من الكلام والعبارات في اسلوب يغلب عليه القصص وحكاية ما شاهده»[2]، فهي مغامرة عاطفية بين النساء وتفكيرهن ومشاعرهن، وهذا ما نلاحظه في شعر عمر بن أبي ربيعة في قوله:

[1] – ينظر، صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، ص: 346-347.

[2] – محمد عبدالمنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين العباسي والأموي، ص: 117.

« بَينَما ينعتنني أَبصَرنَني دونَ قَيدِ الميلِ يَعدو بي الأَغَر

قالَتِ الكُبرى أَتَعرِفنَ الفَتى قالَتِ الوُسطى نَعَم هَذا عُمَر

قالَتِ الصُغرى وَقَد تَيَّمتُها قَد عَرَفناهُ وَهَل يَخفى القَمَر»[1]

يتجسد القصص والحوار في شعر عمر بن أبي ربيعة وذلك من خلال حديث النساء بينهن، فهن يظهرن أخلاقهن وإشارتهن وحركاتهن ويلقين عليه النعوت الجميلة.

2- سهولة الألفاظ

مما لا شك فيه أن هذه الخاصية مرتبطة بطبيعة الغزل الذي يتصل بعواطف الانسان، وهذا ما دفع «الشعراء إلى اصطناع الألفاظ العذبة السهلة حتى يرضوا أذواق المستمعين في هذا المجتمع المتحضر الذي يخاطبونه» [2]، حتى تكون هذه الألفاظ لها تأثير على النفوس، حيث يقول عمر بن أبي ربيعة:

« ألا حبذا حبذا حبذا حبيب تحملت منه الأذى

مَن رَسولٌ ناصِحٌ يُخبِرُنا عَن مُحِبٍّ مُستَهامٍ قَد كَتَم

حُبَّهُ حَتّى تَبَلّى جِسمُهُ وَبَراهُ طولُ أَحزانٍ وَهَم» [3]

استخدم الشاعر ألفاظا سهلة كي يكون لها تأثير على أحاسيس المستمعين.

3- توظيف البحور القصيرة

استخدم الشاعر الحضري « الأوزان الخفيفة والمجزوءة حتى يحملها المغنيون والمغنيات ما يريدون من ألحان وإيقاعات »[4] لتكون سهلة عند ترديدها وتلحينها، وذات نغم موسيقي جذاب يدفع النفس البشرية للتعلق به، فقد اعتمد عمر بن أبي ربيعة «على الغناء اعتمادا رئيسيا وكأن عمر لا يقل شعرا إلا ليغنى، فقد كان يؤلف مع الغريض وابن سريج جوقة موسيقية وفرقة غنائية متنقلة بين أنحاء

[1] – حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص: 264.

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ، العصر الاسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، 1986، ص: 348.

[3] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 265.

[4] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، ص: 251.

مكة والمدينة مما جعل الجميع يعجب بشعره أيما إعجاب، لا يفوتنا بأن ما انتشر في البلاد من ضروب الملاهي ولا سيما الغناء نهضة شديدة واقترنت هذه النهضة الغنائية بنهضة كبيرة في فن الشعر الذي يغني ويصحب بالضرب والعزف على الآلات الموسيقية» [1]، نال شعر عمر بن أبي ربيعة إعجاب بني عصره من خلال قوة الإيقاع والموسيقى واستهوى مستمعيه ومحبيه.

يقول عمر بن أبي ربيعة:

« جعلت طريقي على بابكم وما كان بابكم لي طريقاً»[2]

استخدم الشاعر هذه البحور المتنوعة حتى تتناغم مع الأحوال النفسية التي يعيشها.

[1] – محمد حسن أمرائي، شهريار همتي، قراءة فنية وأسلوبية في قصيدة الرائية الكبرى لعمر بن أبي ربيعة وميزتها العاطفية، مجلة بحوث في اللغة العربية، نصف سنوية لكلية اللغات الأجنبية، جامعة أصفهان، العدد 12، 1994، ص: 8.

2 – شوقي ضيف حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 265.

III شعر السلطة في العصر الأموي (الشعر السياسي)

الشعر السياسي

هو نوع جديد من الشعر ظهر في عصر بني أمية قاله « الشعراء المناصرون لأحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة في العصر الأموي» [1] ، يصف « الخصومات السياسية بين الأحزاب المختلفة من أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج»[2] من أجل اعتلاء عرش الخلافة والبقاء في سدة الحكم.

الأحزاب السياسية

1- الأمويون

هم أصحاب « السلطة القائمة وإليهم ينتمي السواد الأعظم من الناس وخلاصة آرائهم أنّ الخلافة حق مقدس، وهي مواصلة وتتمة لخلافة سيدنا عثمان بن عفان»[3]، وكانوا بنو أمية ودعاتهم وأشياعهم ينتحلون خلافة الله ورسوله، فعلى المسلمين أن يطيعوهم وأن ينصروهم، ويقاتلون من يتمرد على سلطانهم»[4] ، فهم إذن يشكلون الأغلبية من الشعب الأموي وأن الخلافة لهم.

وقد شغل الأخطل بقومه شغلا اضطره إلى ممالأة الأمويين، فقد انضم إليهم وهم بحاجة إلى شعراء ينشرون آراءهم ويردون هجمات أعدائهم، فقد مدح الخليفة عبد الملك بن مروان خاصة والأمويين عامة»[5] حيث يقول:

« إلى امرئ لا تعادينا نوافله أظفره الله فليهنئ له الظفر
ألحائض الغمر والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر
نمت جدودهم والله وفضلهم فجدّ قوم سواهم خامل نكد»[6].

---

[1] – أحمد محمد الحوافي، أدب السياسة في العصر الأموي، مكتبة لسان العرب، القاهرة، مصر، د ط، 1965، ص:360-361

[2] – محمد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام، دار الجبل، بيروت، لبنان، د ط، 1990، ص: 492-493.

[3] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الادب القديم، ص: 316.

[4] – أحمد محمد الحوافي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص:24.

[5] – ينظر حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص: 470.

[6] – حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 278.

الأخطل يريد إثبات أن بني أمية هم أجدر الناس بالخلافة فيمدحهم فردا وجماعة وأن لهم من الصفات ما يؤهلهم للخلافة وذلك من خلال الشرف، والأصل والقوة والجود إلى غير ذلك من الصفات.

وكذلك نجد الكاتب "حنا الفاخوري" في كتابه " تاريخ الأدب العربي" يستشهد بأبيات الفرزدق في مدح الأمويين حيث يقول:

« اما الوليد فإنّ الله أورثه بعلمه فيه ملكاً ثابتَ الدّعَمِ

خلافة لم تكن غصبا مسورتها أرسى قواعدها الرحمان ذو النعم»[1]

الفرزدق يمدح الأمويين ويعلن حقهم بالخلافة وأنها ستدوم لهم,

2- الشيعة:

يعتقد الشيعة أن « خاتم الخلافة هو لبني هاشم اغتصبه الأمويون اغتصابا، والخلافة ليست وراثية لهم، بل بني هاشم أولى بها منهم لأنهم آل النبي الأقربون»[2] وقد تعددت الطرق الشيعية فكان منها « الإثنا عشرية والاسماعيلية والكيسانية والزيدية »[3]، هذه الفرق ترى أن بني أمية اغتصبوا عرش الخلافة وهي ليست لهم ، بل لآل النبي "علي" وآله.

ولقد ولد «هذا الحزب في ظل ظروف المعارضة القائمة على وجاهة الحجة والشعور بالغبن ليس لمصالح أسرة آل البيت بل للمسلمين... فكما كانت الأوضاع في مكة تعيش قبل الاسلام أجواء الصراع على السلطة بين عثمان الأموي وعلى الهاشمي» [4]، حيث يقوم هذا الحزب على نصرة آل البيت في مجابهة خصومهم.

ومما لا شك فيه أن نشاط الشيعة السياسي «يرتبط بنشاطهم الشعري، فكل منهما صدى لعقيدة أساسية، تنادي بأن خلافة الرسول (ﷺ) وإمامة المسلمين حق لآل البيت وحدهم، وهذا الحق عدا

[1] - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص: 290.

[2] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص: 408.

[3] - المرجع نفسه، ص: 318.

[4] - رياض عيسى، الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الردولة الأموية، دمشق، سورية، ط1، 1992، ص: 109.

عليه بنو أمية واغتصبوه بالغدر والظلم والقهر والتآمر» [1]. يعتقد الشيعة أن بني أميه ظلموهم واعتدوا عليهم بسلبهم الإمارة التي هي من نصيبهم.

لقد سخط الشيعيون على المغتصبين وحزنوا لما ألم بهم من أحداث فكان شعرهم شعر سخط وحزن ويظهر ذلك في الهجاء والمديح والرثاء والاحتجاج والتصوير والابتهال، ومن شعرائهم «الكميت الأسدي وكثير عزة"»[2].

أشهر ما قاله" الكميت" الهاشميات في الاحتجاج لبني هاشم على خصومهم:

« طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ولاَ لَعِباً منِّي وذُو الشَّيبِ يَلعَبُ

ولم يُلهِنِي دارٌ ولا رَسمُ مَنزِلٍ ولم يَتَطَرَّبنِي بَنضانٌ مُخَضَّبُ

إلى النَّفَرِ البيضِ الذِينَ بِحُبِّهم إلى الله فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ

بَنِي هَاشِمٍ رَهطِ النَّبِيِّ فإنَّنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِرَاراً وأغضَبُ»[3]

الكميت يحتج في شعره لبني هاشم في مواجهة خصومهم الذي اغتصبوا الخلافة و هي ليست لهم.

3- الخوارج:

يعد حزب الخوارج يرى «من أعرق الفرق الإسلامية والتي كانت تستمد أصول مقولاتها من أفكار دينية لأنها خرجت من أجل الدين، دفاعا عن أوامره الصريحة التي انحرف عنها المسلمون في نظرهم» [4]، إن أهم ما قيل عن أصلهم «أن حركتهم قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بجماعات القراء، أو كما يقال أحيانا أصحاب البرانس، وهي فئات من العرب شغفت شغفا شديدا بالقرآن الكريم وأخذت تتلوه ليلا ونهارا، محاولة تمثّل ما جاء به، وقدها نحو التقشف الشديد والزهد في الدنيا ومثالية

[1] - صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر العربي في العصر الأموي، ص: 87.

[2] – ينظر حنا الفاخور، تاريخ الأدب العربي، ص: 272.

[3] – حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص: 311.

[4] - صلاح اللدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، 164.

في المسلك» [1]، هذه الفئة تعلقت بالقرآن والزهد معتقدة أن الأطراف الأخرى قد انحرفت عما أمر به كتاب الله.

ويرى أصحاب هذا التوجه أن الخلافة « حق لكل مسلم كفء يجتمع فيه العلم و العدل والزهد، فليس يشترط في الخليفة أن يكون عربيا كما تذهب الأحزاب كلها »[2] ، وخلاصة القول أن هذه الفئة ترى أن الخلافة يجب أن تكون باختيارر من المسلمين و لا تقتصر على فئة معينة، ومن «شعراء الخوارج عمران بن حطان، والطرماح بن حكيم»[3] ، شعرهم شعر عقيدة، وأسلوبهم خطابيا.

الطرماح بن حكيم شاعر«طائي من شعراء الخوارج، يجيد المدح والفخر، ويمتاز شعره السياسي بالقوة و الروح الإسلامي و الرقة »[4]، له قوة تأثيرية على مستمعيه حيث يمنحهم الشجاعة في مواجهة أعدائهم وخصومهم فيقول الطرماج بن حكيم:

« وإني لمقتاد جوادي وقاذف به وبنفسي العام إحدى المقاذف
لأكسب مالا أو أؤول إلى غنى من الله يكفيني عدات الخلائف
فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن على شرجع يعلى بخضر المطارف»[5]

الشاعر يسأل ربه أن يموت في ميدان الحرب مستشهدا .

[1] - رياض عيسى ، الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، ص: 76.
[2] – أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي ، ص 104.
[3] – المصدر السابق ، ص 310.
[4] – حنا الفاخوري، الأدب العربي، ص 317.
[5] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، ص: 312.

4- الزبيريون

هم أتباع « عبد الله بن زبير كانوا، يرون أن تعود الخلافة إلى الحجاز و أن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأولين لايزيد بن معاوية »[1]، يعتقد أصحاب هذا الحزب بأن عبد الله بن الزبير هو أحق بالخلافة و ليس يزيدبن معاوية و يستندون في ذلك إلى «عدة أسباب أهلها :

1- أن الخلافة حق لقريش وحدها ،كما أعلن ذلك أبوبكر يوم السقيفة .

2- آمره عثمان بن عفان على داره حينما حاصرها الثوار، وهذا يشعر باستخلافه

3- هو أحد العشرة المبشرين بالجنة،

4- اشتهر بالتقوى و الصلاح و العلم ».[2]

ومن أشهر شعراء الزبيريين «عبيد بن قيس الرقيات لقب بهذا الإسم لأنه شبب بثلاث نساء سمين جميعا رقية، انحاز إلى ابن الزبير، خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان و مدحه و طعن في بني أمية عاطفته حزينة على قومه ساخطة على الأمويين[3]» يقول:

«أَيُّها المشتَهي فَناءَ قُرَيشٍ بِيَدِ اللَهِ عُمرُها وَالفَناءُ

إِن تُوَدِّع مِنَ البِلادِ قُرَيشٌ لا يَكُن بَعدَهُم لِحَيٍّ بَقاءُ

إِنَّما مُصعَبٌ شِهابٌ مِنَ الل ـهِ تَجَلَّت عَن وَجهِهِ الظَلَماءُ

مُلكُهُ مُلكُ قُوَّةٍ لَيسَ فيهِ جَبَروتٌ وَلا بِهِ كِبرِياءُ»[4]

الشاعر يمدح قومه قريش فهو يذكر أبطالهم الذين ناصروا النبي و كذلك يمدح مصعب بن الزبير يناصره.

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 116-117.

[2]- ينظر أحمد محمد الجوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 116-117.

[3] - المرجع السابق، ص: 312.

[4] - محمد عبدالمنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص: 98-99.

علاقه الشاعر بالخليفه في العصر الاموي :

بعد تأسيس الدولة الأموية في الشام«اندلعت الخلافات السياسية وتأججت نارها وعاد المجتمع العربي إلى سيرته الأولى ونزعته القبلية وعصبيته الجاهلية، وثارت الحروب المذهبية والسياسية وانطلق الشعراء إلى الساحة ينتمون إلى المذاهب والأحزاب، وحرص الولاة والحكام على جذب الشعراء المداحين بالمال والعطايا »[1] ، وذلك من أجل السيطرة والبقاء على عرش الخلافة.

من الواضح أن«الشاعر لسان القبيلة وأداة إعلامها وأحد حصونها المنيعة ضد اعدائها... لهذا كان الشاعر يمثل لسلطة القبيله، ذلك البوق الذي ينشر ويفسر ويحلل ويزين أفعالها بقدر ما يلقاه من عطاء ومكاسب» [2]، في سبيل الدفاع عن القبيلة ومواجهة خصومها.

لقد عني الخلفاء والأمراء والولاة بالشعر عناية كبيرة وذلك من خلال:

- ارسلوا وفودهم للشعراء التماسا للمدح والثناء.
- كان الخلفاء يبعثون للشعراء في المناسبات الحافلة يطلبون منهم إنشاء المدائح والقصائد.
- اتخذ كل خليفة أو أمير لنفسه شاعرا يقربه ويؤثره ويهيبه الأموال الجزيلة والعطاء الجم، فكان الأخطل شاعر يزيد بن معاوية ثم شاعر مروان بن عبدالملك الخليفة الأموي» [3] .

تقدير الحكام للشعراء

لقد حرص الأمويون على استغلال الشعر، واجتذاب الشعراء إلى قصورهم ليتخذوا منهم ألسنة منافحة عن حكمهم، داعية إلى تقبله وتأييده، فصار الشعر السياسي أعلى ضروب الشعر صوتا في عهدهم، وتبوأ مكانة في عصرهم لم يتبوأها من بعد، وكان السبب في ذلك يدور على محور واحد وهو الاحتفاظ بالملك والقبض عليه مخافة أن يدور إلى سواهم، فلم تكن هناك صحف يعتمد عليها في نشر دعايتهم وإبطال ما يقوله خصومهم، بل كان الشعر أكثر ما يقوم مقام الصحف و يواكب العصر ويتغلل في اعماق النفوس»[4] .

---

[1]- أحمد سويلم، الشعراء و السلطة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 28.

[2]- المصدر نفسه، ص 110- 111.

[3]ينظر محمد عبدالمنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص: 474.

[4]- بنظر أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 264.

أغراض الشعر في العصر الأموي

مما لا شك فيه أن «هناك أغراض متعددة، قال فيها الشعراء فأكثروا، وصوروا وأجادو، لم يتخلفوا عن أقرانهم، ولم يضعفوا في ميدانهم، وإنما نهضوا سباقين وجالوا في كل فن منها »[1]،مبرزين فيها ما جادت بها قرائنهم وخلجات نفوسهم، ومن هذه الأغراض:

1- الوصف:

هو «ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات»[2]، أي ذكر الأشياء بما هي عليه، حيث يرى الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي أن الوصف هو من«أكثر أبواب الشعر العربي، وكثير من النقاد يرى أن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف»[3]، فهومن أكثر أبواب الشعر شيوعا.

وأصاب" ابن رشيق" لما قال: « الشعر إلا أقله راجع إلأى الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه ، وهو مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به، ولكنه كثيرا ما ياتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا الوصف أخبار عن حقيقة، وأن التشبيه مجاز وتمثيل» [4]، هذا الغرض من الشعر يعبر فيه الشاعر عادة عما يراه ويسمعه ويشعر به.

ويظهر الوصف في الخمريات عد الأخطل وهي قسم من وصفه وهي من ألطف شعره، إذ يقول:

«فصبوا عقارا في إناء كأسها إذا لمحوها جذوة تتأكل

ويصف شربها وتأثيرها

تدبّ دبيبا في العظام كأنه... دبيب نمال في نقا يتهيّل»[5]

إن وصف الأخطل للخمرة يمتاز بالدقة والشمول ، حيث يعتمد على مخيلته وعقله أكثر مما يعتمد على عاطفته.

---

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ض: 129.

[2] – غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الارشاد، حمص، سوريا، ط1، 1992، ص: 64.

[3] – المصدر السابق، ص: 172-173.

[4] – عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص: 79-80.

[5] – حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص: 283.

2- الفخر

من الواضح أن الشاعر«يفتخر بقومه أولا وبنفسه ثانيا، ومقومات الفخر في الجاهلية كانت شرف الاصل وكثرة العدد والشجاعة والكرم... زكان البدوي خاصة يفتخر بالنجدة والاسراع إلى معونة الآخرين من ذات يده أو من ذات نفسه أو بسيفه، زكان أيضا يفتخر بشرب الخمر واستقائها»[1]، يفتخر الشاعر بمساعدة الآخرين ومد يد العون لهم.

وهذا ما يتجسد في شعر الفرزدق، حيث يقول:

«إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا بَيْتاً، دَعَائِمُهُ أعَزُّ وَأطْوَلُ

بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا المَلِيكُ، ومَا بَنى حَكَمُ السّمَاءِ، فإنّهُ لا يُنْقَلُ»[2]

الشاعر يفتخر بقومه ونفسه، فقومه أشد العرب بيتا، و أرفعهم شرفا وأوسعهم خيرا وكرما.

وكذلك يقول الأحطل مفتخرا بقبيلته:

«ودت تميمُ بالكلاب لو أنّها باعت هناك زمانها بزمان

والخيلُ تردي بالكماة كأنها يوم الكلاب كواسر العقبان

برجال تغلب كالأسود ومعشر قتلوا طريفا في بني شيبانِ»[3]

الشاعر يظهر اهتمام التغلبيين لبني أمية و خدماتهم ومؤازراتهم لأصحاب العرش و الدفاع عنهم بكل قوة.

3- المدح

مما لا شك فيه أن المدح«يقوم على فن الثناء وتعداد مناقب الانسان الحي وإظهار آلائه وإشاعة محامده وأفعاله التي خلقها الله فيه بالفطرة والتي اكتسبها اكتسابا والتي يتوهمها الشاعر، ويكون الاعجاب هو الدافع الأول الذي ينطق الشاعر بمدح الممدوح كإعجاب زهير بن أبي سلمى بالحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين أصلحا بين عبس وذبيان وحقنا دماء غطفان، فكانا

[1] - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص: 73.

[2] - حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص: 293.

3 - حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص: 283

جديرين بالإعجاب ثم بالمدح » [1]، إن المدح يقوم بالدرجة الأولى على الإعجاب بمناقب الإنسان وخصاله وفضائله النبيلة، أي أن الإعجاب هو الدافع الأول بمدح الممدوح.

يقول الأخطل في مدح الخليفة الأموي، والأمويين:

«إلى امرئ تعد بنا نوافله أظفره الله فليهنأ له الظفر

الحائض الغمر والميمون طائره خليفة الله استسقى به المطر

هم الذين أجاب الله دعوتهم لما تلاقت نواصي الخيل فاجتلدوا»[2]

الشاعر يشيد بخصال الخليفة الأموي والأمويين وأنهم أحق بالخلافة

يقول الفرزدق في مدح زين العابدين بن الحسين:

«هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا بن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم»[3]

الشاعر يذكر مناقب زين العابدين من حسن الخلق إلى سمر الأصل.

4- الهجاء

من الواضح أن الهجاء غرض من أغراض الشعر «يتناول فيه الشاعر بالذم والتشهير عيوب خصمه المعنوية والجسمية وهو نقيض المدح لأن المدح يذكر الفضائل والهجاء يذكر الرذائل» [4]، هذا الغرض الشعري يعبر فيه الشاعر عن عواطفه من خلال التهديد والوعيد وكذلك بالسخر والغضب.

وكذلك كان «هذا الغرض يهجو بالعيوب النفسية الخلقية ولم يهج بالعيوب الجسمية الخلقية» [5]

1 – غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص:160.

2 – حنا الفاخوري، تاريخ الادب العربي، ص: 287.

[3] – حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ص 291.

[4] - غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص:179.

[5] - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص: 83.

أي أن هذا النوع اهتم بالسلوك والأخلاق البشرية لكون الفرد هو المسؤول المباشر عن تصرفاته وأفعاله، ولم يهتم بما يعانيه الإنسان من تشوهات خلية كونها خارجة عن إرادة الإنسان.

إن الهجاء في «العصر الجاهلي صادق غير لاذع ولا مفحش، وجاء الاسلام فحرم الهجاء، ولما جاء عصر بني أمية كثرت الخلافات السياسية والدينية وكثرت المهاجاة بين الشعراء وتشعبت ألوان بين شعراء الأحزاب» [1]، ويظهر الهجاء في شعر جرير حينما هجا الفرزدق يقول:

«هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا مداخل رجس بالخبيثات عالم

ويقول أيضا:

ألا إنما كان الفرزدق ثعلبا ضفا وهو في أشداق ليث ضارم

لقد ولدت أم الفرزدق فاسقا وجاءت بوزواز قصير القوائم» [2]

الشاعر يتهم الفرزدق في دينه بأنه من المنافقين وصوره تصويرا مضحكا.

[1] – محمد عبد المنعم الخفاجي، الحية الأدبية بعد ظهور الاسلام، ص: 502.

[2] – حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص: 303.

الخاتمة

ظل موضوع الغزل أرضا خصبة للدراسات النقدية والأدبية حيث تناوله الكثير من النقاد والدارسين، نظرا لامتداد جذوره عبر أزمن متعاقبة.

ومن خلال عرضنا لهذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

- عرف الغزل بمسميات ثلاث وهي: التغزل، النسيب والتشبيب.
- يعد هذا النوع من أقدم الفنون الشعرية العربية.
- ينقسم الغزل إلى قسمين هما: الغزل العذري والغزل الحسي.
- ظهر الغزل العذري نتيجة للقيم الاخلاقية التي بثها الإيلام في البادية العربية.
- أما الغزل الحسي فتناول وصف مواطن جمال المرأة.
- عبر الشعراء الجاهليون عن شعر الغزل بمختلف الصفات والأخلاق.
- أنماط الغزل في الشعر الجاهلي مختلفة الأشكال وتعددة الألوان، فمنها غزل المطالع وغزل المحاسن والمفاتن والغزل الصريح وغزل الكهول.
- لقد كانت المرأة في الجاهلية مهدورة الحقوق فاقدة للكرامة، محتقرة في مجتمعها.
- أحدث ظهور الإسلام تحولا جذريا في الحياة العربية فضعف هذا النوع من الشعر وانشغل شعراؤه بالفتوحات.
- الإسلام لم يحرم الشعر وإنما حرم الشعر الذي يخوض في أعراض النساء ويهتك حرماتهم.
- يعد عمر بن أبي ربيعة من أشهر شعراء هذا النوع من الشعر في صدر الإسلام.
- اصبح للغزل في العصر الأموي تياران هما: تيار الإباحة وتيار العفاف.
- اشتهر أصحاب الغزل العفيف بالحب البريئ الصادق والهوى العفيف، وقد سمي بهذا الاسم نسبة لبني عذرة.
- يتميز هذا النوع من الغزل بعدة سمات منها العفة والنقاء، الإكتفاء بمحبوبة واحدة، سهولة الالفاظ والأسلوب، الحزن والتشاؤم.
- أما الغزل الإباحي فهو تعبير عن العاطفة والتي تكالبت على اللذة وقد شاع هذا النوع في الحجاز وازدهر في ميادين اللهو والمجون.
- من أبرز سمات هذا النوع من شعر الغزل القصصية والحوار، سهولة الألفاظ وتوفير البحور القصيرة.

- ظهر في العصر الأموي نوع جديد من الشعر وهو الشعر السياسي، إذ ظهرت الأحزاب السياسية فكان منها الأمويون، الشيعة، الخوارج، الزبيريون.
- كان لكل حزب أو طائفة من هذه الأحزاب شاعر خاص به.
- ومن الأغراض التي ازدهرت وتطورت في هذا العصر: الوصف، الفخر، المدح والهجاء.
- حرص الخلفاء الأمويون على استغلال الشعر والشعراء ليجعلوا منهم ألسنة منافحة عن حكمهم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- سورة النحل، الآية 58-59.

الدواوين:

- ديوان الأعشى ميمون، تح، محمد حسين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1974.
- ديوان امرؤ القيس، تح، أنور أبو سويلم ومحمد شويكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الأمرات العربية، ط1، 2003.
- ديوان جميل بثينة، تح، محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1.
- ديوان عمر بن كلثوم.
- ديوان محمد بن أبي ربيعة، تح، محمد محي الدين عبدالحميد، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1982.
- ابن سيده. المخصص المطبعة الكبرى الأموية، يولاق، مصر، ج17، 4، 13.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح، أحمد محمد شاكر، دار المعارف، د ط، القاهرة، مصر.
- ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.
- أبو الفرج الأصفهاني، الاغاني، تح، سمير جابر، دار الكتاب العالمية، لبنان، بيروت، ط1.
- أبو سعيد بن الحسن بن الحسينين عبدالله سكري، شرح ديوان كعب بن زهير، مطبعة دار الكتب، والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2002.
- أحمد سويلم، الشعراء والسلطة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- أحمد محمد الحوافي، أدب السياسة في العصر الأموي، مكتبة لسان العرب، القاهرة، مصر، ط1، 1965.
- بدوي طبانة، معلقات العرب، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط1، 1958.
- حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، دت.
- حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب، مطبعة مصر، شركة مشابة مصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1947.

- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986,
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح، محمد المخزومي، ابراهيم المرائي، دار الكتبة العلمية، بيروت، ط1، 2003.
- رياض عيسى، الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، دمشق، سورية، ط1، 1992.
- سيراج الديم محمد، موسوعة روائع الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط ت، مج4، الغزل.
- شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، 1986.
- صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة لسان العرب، القاهرة، مصر، ط1.
- صلاح عيد، الغزل العذري، حقيقة ظاهرة وخصائص الفن، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1993.
- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981.
- غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، قضاياه أغراضه أعلامه فنونه.
- كمال قلايلي، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي.
- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، دار الجبل ، بيروت، لبنان، د ط، 1990.
- يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه فنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5.
- يوسف خليفي، دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1.

المجلات والدوريات

- محمد حسن أمرائي، شهريار همتي، قراءة فنية وأسلوبية في قصيدة الرائية الكبرى لعمر بن أبي ربيعة وميزتها العاطفية، مجلة بحوث في اللغة العربية، نصف سنوية لكلية اللغات الأجنبية، العدد 12، جامعة أصفهان، ، 1994.

ملخص الدراسة: